سيرة النبي ﷺ والخلفاء الراشدون من خلال كتاب "محمد ﷺ وخلفاؤه" للمستشرق واشنطن إيرفينغ (Washington Irving) (دراسة تاريخية نقدية)

إعداد

أ/ محمد بن فرج بن قاسم الأحمدي

باحث دكتوراة، تخصص التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ الإسلامي،

الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية

أ.د/ عبدالعزيز نور ولي

تخصص التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ الإسلامي،

الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

مجلة الدراسات التربوية والانسانية. كلية التربية. جامعة دمنهور

المجلد السادس عشر، العدد الرابع (أكتوبر) الجزء الاول، لسنة 2024م

سيرة النبي ﷺ والخلفاء الراشدون من خلال كتاب "محمد ﷺ وخلفاؤه" للمستشرق واشنطن إيرفينغ (Washington Irving)

(دراسة تاريخية نقدية)

أ/ محمد بن فرج بن قاسم الأحمدي[1]
أ.د/ عبدالعزيز نور ولي[2]

المستخلص:

يتناول البحث سيرة النبي ﷺ والخلفاء الراشدون من خلال كتاب "محمد ﷺ وخلفاؤه" للمستشرق واشنطن إيرفينغ ، وأهم فصوله: دراسة حول كتاب محمد ﷺ وخلفاؤه، ومنهج ومصادر المؤلف، وبعض آراء المترجمين فيه،و آراء إيرفينج فيما قبل مولد النبي ﷺآراء إيرفينج في سيرة النبي ﷺ من مولده إلى ما قبل بعثته ﷺ ،السيرة النبوية في كتاب إيرفينج من البعثة إلى الهجرة إلى المدينة، آراء إيرفينج المتعلقة بالسيرة النبوية بعد هجرة النبي ﷺ ،آراء إيرفينج بزوجات النبي ﷺ وبناته وعلاقته بهن وبغيرهن من النساء عمومًا ،آراء إيرفينج المتعلقة بالخلفاء الراشدين ⁄، مع ذكر المميزات والمآخذ على الكتاب في هذا الباب، **ومن نتائج البحث:** تنوع أساليب أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم في التشكيك بالشريعة الإسلامية لاسيما مصدرها الثاني السنة النبوية. وقوف الكثير من المسلمين على مر التاريخ للتصدي لمزاعم المستشرقين وغيرهم من المشككين. لابد عند مخاطبة المشككين اللإستناد على الحقائق التاريخية والمراجع الأصيلة. المستشرقين مهما حاولوا تصنع المصداقية والانصاف والموضوعية الا انه لا يستطيعون أن يتخلصوا من العقد الاستشراقية والتي تتمثل في العداء للإسلام والمسلمين. تشابه منهج المستشرقين وتركيزهم على إثارة نفس الشبهات غالبا.

الكلمات المفتاحية: سيرة النبي ﷺ، والخلفاء الراشدون، واشنطن إيرفينغ، محمد ﷺ وخلفاؤه.

---

[1] **باحث دكتوراة، تخصص التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ الإسلامي، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية. البريد الالكتروني: Mf547@hotmail.com**

[2] **تخصص التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ الإسلامي، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة**

the biography of the Prophet, peace and blessings of God be upon him, and the Rightly Guided Caliphs through the book "Muhammad, peace and blessings be upon him, and his Caliphs" by the orientalist Washington Irving ، (critical historical study)

Mohammad faraj alahmadi, Abdulaziz Nour Wali
Specialization in Islamic History, Department of Islamic History, Islamic University of Medina, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: Mf547@hotmail.com

Abstract:
He discussed the biography of the Prophet, peace and blessings of God be upon him, and the Rightly Guided Caliphs through the book "Muhammad, peace and blessings be upon him, and his Caliphs" by the orientalist Washington Irving, and its most important chapters: a study of the book Muhammad, peace and blessings be upon him, and his Rightly Guided Caliphs, the approach and sources of the author, some of the opinions of its translators, and Irving's views regarding the birth of the Prophet, R. Irving, in his biography. The Prophet, may God bless him and grant him peace, from his birth until before his mission, may God bless him and grant him peace, the prophetic biography in Irving's book From the Migration to Medina, Irving's opinions related to the prophetic biography after the migration of the Prophet, may God bless him and grant him peace, Irving's opinions regarding the Prophet's wives and daughters, and his relationship with them and other women in general, Irving's opinions regarding the Rightly Guided Caliphs, may God bless him and grant him peace. Mentioning the features and keys found in the book in this section, and among the research results :The diversity of methods of the enemies of Islam, including Orientalists and others, in questioning Islamic law, especially its second source, the Sunnah of the Prophet. Many Muslims throughout history have stood up to confront the claims of Orientalists and other skeptics. When addressing skeptics, one must rely on historical facts and authentic references. Orientalists, no matter how much they try to create credibility, fairness, and objectivity, cannot get rid of the Orientalist complex, which is represented by hostility toward Islam and Muslims. The similarity of the approach of the Orientalists and their focus on often raising the same suspicions.

Keywords: The biography of the Prophet, peace and blessings be upon him, the Rightly Guided Caliphs, Washington Irving, Muhammad, peace and blessings be upon him, and his successors.

المقدمة:

الحمد لله خالق الأكوان، منشئ الأمم عبر الأزمان، الذي جعل في التاريخ والسير عبرة لذوي البصائر والأذهان، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد المبعوث بالرحمة والإيمان، صلاة دائمة تامة إلى يوم لقاء الدَّيَّان، وعلى آله وصحبه في كل حين وأوان.

وبعد:

فإن علم التاريخ له مكانة رفيعة بين العلوم البشرية لاسيما العلوم الاجتماعية التي يُعد أحد أهم فروعها، ومن أهم علوم التاريخ السيرة النبوية، والتي حظيت باهتمام المسلمين، فتناولوها من جميع جوانبها، كما كان لها نصيب وافر من اهتمام المستشرقين، ترجمة وتصنيفًا، بمختلف مدارسهم، والتي تعد المدرسة الأمريكية من أهمها.

ويُعد واشنطن إيرفينغ (ت1859م–1275هـ) أحد رواد هذه المدرسة؛ إذ ألف كتابه الذائع الصيت (محمد ﷺ وخلفاؤه)؛ وبعد قراءة هذا الكتاب والاطلاع على ما فيه، رأيت أنه يحتاج إلى دراسة تحليلية نقدية لما فيه من معلومات وآراء، واخترت لها عنوان:

سيرة النبي ﷺ والخلفاء الراشدون من خلال كتاب "محمد ﷺ وخلفاؤه" للمستشرق واشنطن إيرفينغ (Washington Irving) (دراسة تاريخية نقدية)

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في عدة نقاط، منها:

1– ارتباط البحث بالنبي التي تُعد شخصيته قدوة يتأسى بها كل مسلم امتثالاً لقول الحق I: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب:21].

2–مكانة مؤلف الكتاب؛ إذ يُعد أحد أشهر الأدباء والرواة والمؤرخين الأمريكيين؛ كما أنَّه صحفي، ورسام، وممثل مسرحي.

3–أن المؤلف أول مستشرق أمريكي يصنف كتبًا عن الشرق الإسلامي عمومًا، وعن حياة

النبي ﷺ وخلفائه الراشدين على وجه الخصوص[3].

4-أنَّ المؤلف يعد في وجهة نظر كثير المؤرخين أول رجل أدب أمريكي يعرف عالميًا خارج القارة الأمريكية[4].

5-اعتماد المؤلف على كتاب البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير-رحمه الله-الذي يُعد أحد أشهر كتب التاريخ الإسلامي.

6-قيمة الكتاب العلمية المتمثلة في الكم الهائل من المعلومات التاريخية التي ضمنها المؤلف والتي مثلت وجهة نظر استشراقية تحتاج إلى دراسة ونقد.

7-عدم حِدَّة المؤلف في سرده لحياة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ψ فعمد إلى استخدام عبارات لطيفة-في أغلب الأحيان-مخالفًا بذلك منهج المدرسة الاستشراقية.

8-أن الكتاب صيغ بأسلوبٍ قصصي بسيط يُقرِّب إلى الأذهان بعض صفات النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ψ المبثوثة في ثنايا هذا الكتاب.

9-اهتمام المؤلف بجمع الحقائق التاريخية وعرضها عرضًا شائقًا بعيدًا عن تزييف الحقائق والطعن فيها التي نجدها في مؤلفات جل المستشرقين.

10-ترجمة المؤلف لكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة والأبيات الشعرية، فترجم معانيها دون أن يترجم ألفاظها؛ لذا ينبغي التوقف عندها وبيان صوابها من خطئها.

أهداف البحث: يسعى البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف من أهمها:

1-إلقاء الضوء على الاستشراق الأمريكي.

2-إلقاء الضوء على المستشرق الأمريكي واشنطن إيرفينج وكتابه محمد ﷺ وخلفاؤه.

3-دراسة منهج المؤلف الذي سلكه في كتابه.

---

[3] ينظر: (**Geoffrey Moore ،ed. ،American Literature: A Reprentative Anthology of American Writing from Colonial Times to the Present London: Faberx & Faber ، 1964 ،p. 178**)

[4] ينظر: المرجع السابق.

4–إبراز المغالطات التاريخية في سيرة النبي ﷺ، وتحليلها ونقدها والرد عليها.
5–إبراز المغالطات التاريخية في سيرة الخلفاء الراشدين ψ، وتحليلها ونقدها والرد عليها.
6–بيان الأهمية العلمية والقيمة التاريخية لكتاب محمد ﷺ وخلفاؤه.
7–نقد ما يحتاج إلى نقد بصورة منصفة تبرز الجوانب الإيجابية والسلبية في الكتاب.

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال الرئيس:

ما النقد الموجه لكتاب المستشرق الأمريكي واشنطن إيرفينغ في تناوله لسيرة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين؟

ويتفرع منه أسئلة من أهمها:

1–ما النقد الموجه له في تصوره لمجموعة من الدلالات الدقيقة لبعض المفاهيم الإسلامية، مثل: النبوة، والصحبة، والقرآن الكريم، والحديث الشريف، ومعجزات النبي ﷺ؟
2–ما النقد الموجه له فيما وقع فيه من تعليلات واستنتاجات خاطئة ومتسرعة تتعلق بسيرة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ψ، بناء على فهمه الخاطئ.
3–ما النقد الموجه له في توثيق المعلومات التي يستقيها من مصادره؟
4–ما النقد الموجه له في تأثره بالمؤرخين الغربيين؟

حدود البحث:

يُحدُّ هذا البحث بما ورد في كتاب "محمد ﷺ وخلفاؤه" لواشنطن إيرفينج؛ وذلك فيما يتعلق بسيرة النبي ﷺ والخلفاء الراشدين ψ، واعتمدت فيما يتعلق بسيرة النبي ﷺ على ترجمتين للكتاب هما:

الترجمة الأولى: ترجمة د.هاني يحيى نصري، والواقعة في (484) صفحة.
الترجمة الثانية: ترجمة د.علي حسني الخربوطلي، والواقعة في (154) صفحة.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة بهذا العنوان في مراكز البحث العلمي ولا في الشبكة العالمية، غير ما وجدته من دراستين لهما علاقة وثيقة بالدراسة الحالية:

الدراسة الأولى: الاستشراق الأمريكي والسيرة النبوية (ايرفينغ) أنموذجًا:

من إعداد سامي أحمد الزهو، بحث مقدم لإكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية التربية بجامعة تكريت، عام 1425هـ-2004م.

عدد صفحات هذه الدراسة في (203) صفحات، وقد انتظمت في مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع.

تناول الباحث في مقدمته مفهوم الاستشراق، والجذور الأساسية له، وأشهر مدارسه، ونظرة المستشرقين الأوائل للإسلام ورسوله ﷺ والوحي المتمثل في القرآن الكريم، كما تناول أهم المصادر الغربية والاسلامية التي اعتمد عليها المستشرق الأمريكي إيرفينغ.

وتناول في الفصل الأول خصائص عصر المؤلف الثقافية؛ من حيث العقلية الأمريكية واهتماماتها واتجاهاتها، والاستشراق الأمريكي وتوجهاته في دراسة التاريخ العربي الإسلامي، وأثر الاستشراق الأوربي على الاستشراق الأمريكي.

وتناول في الفصل الثاني حياة المؤلف ومنهجه في الكتابة التاريخية، فأورد نبذة عن حياة المؤلف وأهم إنتاجه الفكري، وعرف بكتاب حياة محمد وموارده، ومنهج المؤلف الذي سار عليه في تأليفه.

وتناول في الفصل الثالث: آراء وتفسيرات إيرفينغ لعناصر أساسية في السيرة النبوية تمثلت في:

أولا: إيرفنج النبوة والوحي: تطرق فيه الباحث إلى آراء إيرفنج في النبوة والوحي في حدود (10) صفحات، وكانت له تعليقات مختصرة، انتقد فيها ما رأى خطأ المؤلف فيه.

ثانيًا: زوجات النبي ﷺ: تطرق فيه الباحث إلى آراء إيرفنج في تعدد زواجات النبي ﷺ، وبعض الأخبار الواردة في السيرة النبي بهذا الشأن، وجاء ذلك في حدود (14) صفحة، وكانت له تعليقات مختصرة فنّد من خلالها آراء المؤلف الخاطئة في هذا الشأن.

ومن أهم النتائج التي خلص لها الباحث:

1–قلة اطلاع المؤلف على المصادر الأصيلة للسيرة النبوية؛ نظراً لعدم تحدثه اللغة العربية، واقتصاره على كتاب مختصر تاريخ الدول، وبعض مؤلفات الكتّاب الأوربيين.

2–أن تعدد رحلات المؤلف إلى أوربا فتحت له الباب للتعرف على كثير من الشخصيات التاريخية والفنية والأدبية الأوربية.

3–حصول المؤلف على كثير من الألقاب نحو: رائد الأدب الأمريكي، وبطل القصة القصيرة، وسفير العالم الجديد إلى العالم القديم.

4–تأثر المؤلف بالتوجهات الجديدة لعصره التي كانت ترفض كثيراً من الثوابت اللاهوتية.

5–قلة اهتمام المستشرقين الأمريكيين المعاصرين للمؤلف بالثقافة الشرقية؛ نظراً لانشغالهم بالداخل من أجل بناء المجتمع والأمة الجديدين.

الدراسة الثانية: المستشرق الأمريكي واشنطن إيرفينغ ومنهجه في كتابه "محمد ﷺ وخلفاؤه.

بحث مقدم للندوة الدولية الموسومة بـ "الكتابات الأمريكية في السيرة النبوية" المنعقدة بمدينة فاس–المملكة المغربية، للمؤلف: عبد العزيز شاكر الكبيسي: 15/أبريل/2009م، الموافق لـ: 19/ربيع الآخر/1430هـ.

هذه الدراسة عبارة عن ورقة بحثية مختصرة، وقد جاءت في (16) صفحة.

وقسم الباحث دراسته إلى ثلاثة فصول، خصص الفصل الأول للتعريف بحياة المؤلف العلمية والعملية، أما الفصل الثاني فقدم فيه وصفًا للكتاب من حيث الشكل، وذكر من قام بترجمته إلى اللغة العربية؛ فبين أن للكتاب ترجمتان، أما الفصل الثالث فخصصه للحديث عن المنهج الذي سلكه المؤلف في كتابه.

وقد نبه الباحث على بعض المغالطات التي وقع فيها المؤلف؛ كغيره من المستشرقين؛ وقسمها إلى أخطاء في تناوله للنبوة والوحي، وأخطاء في العقيدة، وأخطاء في التاريخ.

ولم أقف على نتائج مستخلصة من البحث المقدم للندوة.

خطة البحث: اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمة وتمهيد وسبعة فصول.

المقدمة: وتحتوي على:

أهمية البحث، وأسباب اختيار الموضوع، ومشكلة البحث، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وحدود البحث، وخطة البحث، ومنهج البحث، وإجراءاته.

وقد قمت بإستلال الفصل الثاني وفيه: آراء إيرفينج فيما قبل مولد النبي ﷺ.

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: آراء إيرفينج في أخبار بعض الأنبياء عليهم السلام. ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: آراء إيرفينج في الأخبار المتعلقة بآدم –عليه السلام–.

المطلب الثاني: آراء إيرفينج في الأخبار المتعلقة بإبراهيم وإسماعيل–عليهما السلام–وبناء الكعبة.

المبحث الثاني: آراء إيرفينج المتعلقة بأديان العرب وعباداتهم قبل البعثة.

المبحث الثالث: آراء إيرفينج المتعلقة بمولد النبي ﷺ قبل البعثة ونشأته وعلاقته بالأديان.

ويحتوي على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: آراء إيرفينج المتعلقة بالولادة والمعجزات المصاحبة له.

المطلب الثاني: آراء إيرفينج المتعلقة بنشأة الرسول ﷺ.

المطلب الثالث: آراء إيرفينج المتعلقة بعلاقة النبي ﷺ بالأديان.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس العامة: وتشمل:

- فهرس الآيات الكريمة.
- فهرس الأحاديث الشريفة والآثار الواردة عن الصحابة ψ.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس الأماكن والبلدان.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

المبحث الثاني: آراء إيرفينج فيما قبل مولد النبي ﷺ

المطلب الأول: آراء إيرفينج في الأخبار المتعلقة بآدم υ

تطرق المؤلف عن إخراج الله I آدم وحواء عليهما السلام من الجنة وإهباطهما إلى الأرض ثم تطرق لقصة التقائهما في عرفات، بما يتوافق في مجمله مع ما ورد في القرآن الكريم، إلا أنَّه نسب لمعتقدات العرب، أو للتقاليد العربية–حسب تعبيره– ما لم يرد فيها، ومن المآخذ على آرائه في قصة آدام υ:

1–أنَّ آدم υ طلب من الله تعالى بناء صرح له ليعبده:

تطرق المؤلف في معرض حديثه عن التقاليد العربية لقصة إخراج الله I آدم وحواء عليهما السلام من الجنة وإهباطهما إلى الأرض، فذكر أنَّ آدم υ أُهبط على جبل سرنديب[5] وأنَّ حواء أُهبطت في جدة، وتم تلاقيهما بعد زمن في عرفات قُرب مكة المكرمة، ثم ذكر أنَّ آدم υ طلب من الله تعالى بناء صرح ليعبده فيه، قال: "طالبًا من الله بناء صرح له ليعبده كما كان يفعل في الفردوس"[6].

والذي ذكرته مصادر التأريخ والتفسير في قصة بناء الكعبة لم يرد فيه هذا الطلب، بالرغم ممن اختلافهم في تاريخ بناء الكعبة وأوَّل من بناها، ألَّا أنَّ أيًّا منهم لم ينص على أن بناءها كان بطلب من آدم υ من ربه I، والذي ورد في المصادر الإسلامية أنَّ الله I أمر آدم υ أن يبني له بيتًا في الأرض أورد الأزرقي[7] –رحمه الله– بسنده إلى ابن عباس–رضي الله عنهما–في قصة إهباط آدم υ ما نصُّ: "لما أهبط الله آدم إلى الأرض من الجنة، كان رأسه في السماء، ورجلاه في الأرض وهو مثل الفلك من رعدته، قال: فطأطأ الله Y منه إلى ستين ذراعا، فقال: يا

---

(5) سرنديب سلسلة جبال تقع في جمهورية سريلانكا. ينظر: المسالك والممالك، عبيد الله بن عبد الله، بن خرداذبة، دار صادر أوفست ليدن، بيروت، ط1، 1988م، (ص64)، والروض المعطار في خبر الأقطار، مُحَمَّد بن عبد الله الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، مطابع دار السراج، بيروت، ط2، 1980م، (ص314).

(6) مُحَمَّد ρ خلفاؤه، مرجع سابق، (ص91).

(7) مُحَمَّد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، محدث ومؤرخ، من مؤلفاته: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، توفي سنة: (223هـ). ينظر: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مُحَمَّد بن أحمد الفاسي، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، (199/2)، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المؤلفين، إسماعيل بن مُحَمَّد أمين بن مير سليم البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول، ط1، 1951م، (11/2).

رب ما لي لا أسمع أصوات الملائكة ولا أحسهم؟ قال: خطيئتك يا آدم، ولكن اذهب فابن لي بيتًا فطف به واذكرني حوله، كنحو ما رأيتَ الملائكة تصنع حول عرشي"[8].

وفي رواية أخرى أنَّ الله Y أهبط له البيت من الجنة، ساق الإمام الطبري–رحمه الله– بسنده إلى عطاء بن أبي رباح[9] –رحمه الله– أنَّه قال: "وضع الله تعالى البيت مع آدم، فكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فكانت الملائكة تهابه، فنقص إلى ستين ذراعًا، فحزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة وتسبيحهم، فشكا ذلك إلى الله، فقال الله: يا آدم، إني أهبطت لك بيتًا تطوف به كما يطاف حول عرشي، وتصلي عنده كما يصلى عند عرشي"[10].

وذكر ابن الأثير[11] –رحمه الله–أنَّ الله تعالى أخبر آدم υ بأنَّه سيجعل له بيتًا في الأرض فقال: "ثم إن الله أنزل آدم من الجبل وملَّكه الأرض وجميع ما عليها من الجن، والدواب، والطير، وغير ذلك، فشكا إلى الله تعالى وقال: يا رب، أما في هذه الأرض من يسبحك غيري، فقال الله تعالى: سأخرج من صلبك من يسبحني، ويحمدني، وسأجعل فيها بيوتًا ترفع لذكري، وأجعل فيها بيتًا أختصه بكرامتي، وأسميه بيتي".

المطلب الثاني: آراء إيرفينج في الأخبار المتعلقة بإبراهيم وإسماعيل–عليهما السلام–وبناء الكعبة

ذكر المؤلف في سياق حديثه عن ملاحظاته حول العرب وجزيرتهم بعض الآراء المتعلقة بإبراهيم وإسماعيل–عليهما السلام–، وكيفية بناء الكعبة المشرفة، ومن خلال هذه الآراء يمكن استنتاج الآتي:

---

(8) أخبار مكة للأزرقي، مرجع سابق، (13/1).

(9) عطاء بن أبي رباح أسلم القرشي، أحد سادات التابعين، وفقهائهم، روى عن جمع من الصحابة ψ لا سيما ابن عباس–رضي الله عنهما–، توفي سنة: (114، وقيل:115هـ). ينظر: الثقات، مُحَمَّد بن حبان البستي، بإشراف: د.عبد المعيد خان، دائر المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط1، 1393هـ–1973م، (199/5)، وسير أعلام النبلاء للذهبي، مرجع سابق، (78/5).

(10) تاريخ الطبري، مرجع سابق، (123/1).

(11) علي بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الكريم الشيباني، المشهور بابن الأثير الجزري، محدث وفقيه ومؤرخ، من مصنفاته: أسد الغابة في معرفة الصحابة، والكامل في التاريخ، توفي سنة: (630هـ). ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، مرجع سابق، (37/1)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن العماد، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1406هـ–1986م، (52/1).

أولا: آراء إيرفينج فيما يتعلق بإبراهيم υ:

1–أبوة إبراهيم υ للبشر:

ذكر المؤلف أنَّ إبراهيم υ أحد آباء البشر؛ وذلك في قوله: "إبراهيم الذي يُعدُّ أحد آباء الجنس البشري"[12].

والذي ذكره المؤرخون وأصاحب السير أنَّ للبشر ثلاثة آباء هم على الترتيب:

أ–آدم υ: وهو الأبو الأول للجنس البشري، خلقه الله Y بيده من غير أبٍ ولا أمٍّ، وخلق منه زوجه حواء، ثم تتالي نسلهم ولا زال إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها[13].

ب–شيث من آدم υ: وهو الأب الثاني للجنس البشري فقد انقرض ولد آدم ولم يتركوا عقبًا وانقطع نسلهم إلا ما كان من شيث بن آدم، فمنه كان النسل، وأنساب الناس اليوم كلهم إليه دون أبيه آدم؛ فهو أبو البشر إلا ما كان من أبيه وإخوته ممن لم يترك عقبًا[14].

ج–نوح υ:

يُعدُّ نوح υ ثالث آباء البشرية التي تلتقي جميع أنسابهم عنده، ومن عقبه انتشر الجنس البشري إلى يومنا هذا؛ وسبب تسميته بأبي البشر أنَّ البشرية هلكت بسبب الطوفان ولم ينج إلا من ركب معه في السفينة؛ قال أهل التأريخ: احمل في السفينة من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم، فإذا رأيت التنور فاركب أنت ومن معك وكان الذي آمن معه سبعين رجلا، فلما رأى التنور ركب بالسبعين رجلاً بلا نساء معهم، وركب بنوه سام وحام ويافث ونساءهم ليس معهم في السفينة من النساء غيرهن، وإن السبعين رجلاً الذين كانوا معه في

---

(12) مُحَمَّد ρ خلفاؤه، مرجع سابق، (ص66).

(13) ينظر: تاريخ الرسل والملوك والأمم=تاريخ الطبري، مُحَمَّد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط2، 1387هـ، (89/1)، والكامل في التاريخ، علي بن مُحَمَّد بن الأثير الجزري، تحقيق: د.عمر بن عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، ط1، 1417هـ–1997م، (27/1)، ومرآة الزمان في تواريخ الأعيان، يوسف بن قزأوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الرسالة العالمية، دمشق–سوريا، ط1، 1434هـ–2013م، (237/1).

(14) ينظر: تاريخ الطبري، مرجع سابق، (165/1)، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، مرجع سابق، (291/1)، والبداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1418هـ–1997م، (161/1).

السفينة ماتوا بلا عقب وإنما أعقب بنو نوح الثلاثة سام وحام ويافث[15].

أما تسمية المؤلف لإبراهيم υ بأنَّه أحد آباء الجنس البشري فلم أقف على من قال بها من المؤرخين، أمَّا إن كان يقصد أنَّ إبراهيم υ أبٌ للعرب واليهود؛ إذ إنَّ العرب ينتسبون لإسماعيل υ، واليهود ينتسبون لإسحاق υ[16]، فيكون ذلك صحيحًا، أمَّا كون إبراهيم υ أبًا للبشرية قاطبة، فلا دليل عليه، والله تعالى أعلم.

2- العلاقة بين إبراهيم υ وزوجه هاجر:

ذكر المؤلف قصة نزول إبراهيم υ بابنه إسماعيل υ وزوجه هاجر مكة وهي حينئذ وادٍ لا حياة فيه كما قال ربنا Y في كتابه الكريم: {تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي }[إبراهيم:37]، وادَّعى أنَّ إبراهيم υ طرد هاجر؛ فقال المؤلف: "استوطنت هاجر مع ابنها إسماعيل عندما طردت من قِبَل إبراهيم"[17].

زعم المؤلف أنَّ إبراهيم υ قد طرد هاجر، وهو ادِّعاء غريبٌ لم أقف على من ذكره من المؤلفين الذين أوردوا قصة خروج إبراهيم υ بهاجر وابنها إسماعيل υ إلى مكة، والتي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى على لسان إبراهيم υ: {تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي}[إبراهيم:37]، وعبرت عنها الآية الكريمة بلفظة "الإسكان"، وعبر القرآن الكريم عنها في موضع آخر بالتبويء؛ وهو قوله تعالى: {ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي }[الحج:26]؛ وهذان اللفظان إضافة إلى لفظي "الإنزال"، و"الترك"، و"الخروج" هي أكثر الألفاظ المعبر بها في

(15) ينظر: التيجان في ملوك حمير، عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث التاريخية، مركز الدراسات والأبحاث التاريخية اليمنية، صنعاء، الجمهورية العربية اليمنية، ط1، 1347هـ، (ص31، 32)، والمحبر، محمَّد بن حبيب الهاشمي، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، (ص383)، وأخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، علي بن الحسين المسعودي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط)، (1416هـ-1996م، (ص83).

(16) ينظر: تاريخ الطبري، مرجع سابق، (270/1)، والبداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق، (83/3)، والأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عبد الرحمن بن محمَّد العليمي، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمَّان، (د.ط)، (د.ت)، (41/1).

(17) محمَّد ρ خلفاؤه، مرجع سابق، (ص66).

كتب التاريخ[18].

والصواب ما ذكره بعض المؤرخون من أنَّ سارة أم إسحاق υ طردت هاجر؛ لذا أخذها إبراهيم υ وابنها إلى مكة؛ وهو قول جمع من المؤرخين المسلمين والمسيحيين على حدٍّ سواء؛ فمن أمثلة قول المؤرخين المسلمين قول ابن إسحاق[19] –رحمه الله–: "لما طردت هاجر أم إسماعيل القبطية سارة، ووضعها إبراهيم بمكة"[20].

وقول الفاكهي[21] –رحمه الله–: "استأذن إبراهيم υ امرأته سارة في جاريتها هاجر، فقالت: نعم، على أن لا تسوئني، قال: نعم، فأطاف عليها، فولدت إسماعيل، فبينما هو يومًا من الأيام جالس استبق إسماعيل وإسحاق إليه، فسبق إسماعيل، فأخذه أبوه فأجلسه في حجره، فلما جاء إسحاق أخذه فأجلسه على يمينه، وعن يساره إسماعيل، وسارة تطلع من فوق البيت، قد رأت ما صنع إبراهيم، فلما دخل إبراهيم قالت: قد ساءني، فأخرجهما عني، فانطلق بهما حتى نزل بهما مكة"[22].

ومن أمثلة قول المستشرقين قول المستشرق ر.ف. بودلي[23]: "حيث انطلقت هاجر لتقضي ما بقي من عمرها بعد أن طُردت من خيام إبراهيم بتحريض من سارة، ولقد هامت هاجر

---

(18) ينظر: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، مُحَمَّد بن إسحاق الفاكهي، تحقيق: د.عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، بيروت، ط3، 1414هـ، (6/2)، وتاريخ الطبري، مرجع سابق، (254/1)، والمختصر في أخبار البشر، إسماعيل بن علي المؤيد، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، (د.ت)، (22/4).

(19) مُحَمَّد بن إسحاق بن يسار المطلبي ولاءً، كان إمامًا في الأخبار والسير والمغازي، له كتاب المغازي، توفي سنة: (151هـ). ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، مرجع سابق، (276/4)، وسير أعلام النبلاء للذهبي، مرجع سابق، (33/7).

(20) سيرة ابن إسحاق، مُحَمَّد بن إسحاق بن يسار المطلبي، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1398هـ–1978م، (ص26).

(21) مُحَمَّد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، مؤرخ وأخباري، له: أخبار مكة، توفي سنة: (272هـ). ينظر: فتح الباب في الكنى والألقاب، مُحَمَّد بن إسحاق بن منده، تحقيق: نظر بن مُحَمَّد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض، ط1، 1417هـ–1966م، (ص494)، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي، مرجع سابق، (109/2).

(22) أخبار مكة للفاكهي، مرجع سابق، (6/2).

(23) رونالد فيكتور بودلي، مستشرق وضابط في الجيش البريطاني، طوف في البلاد العربية، والمشرق الإسلامي، له: الرسول: حياة مُحَمَّد، توفي سنة: (1970م). ينظر: معجم أسماء المستشرقين لمراد، مرجع سابق، (ص283).

على وجهها في الصحراء حتى بلغت وادي مكة"[24].

وهو قول منصوص عليه في العهد القديم من الكتاب المقدس: "رَأَتْ سَارَةُ ابْنَ هَاجَرَ الْمِصْرِيَّةِ الَّذِي وَلَدَتْهُ لإِبْرَاهِيمَ يَمْزَحُ، فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: اطْرُدْ هذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا؛ لأَنَّ ابْنَ هذِهِ الْجَارِيَةِ لاَ يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ"[25].

ومما سبق يتبين أنَّ طرد هاجر كان من فعل سارة لا من فعل إبراهيم υ، وبالتالي يتضح خطأ المؤلف في نسبته إلى إبراهيم υ، والله تعالى أعلم.

3- وعد الله تعالى إبراهيم أن يسكن ولده في الجزيرة العربية:

أورد المؤلف نصًّا من الكتاب المقدس يتضمن وعد الله تعالى لإبراهيم υ أن يمكن ولده إسماعيل υ من العيش بين أهل الجزيرة العربية، وهو ما يعتقد المؤرخون المسيحيون؛ وذلك بعد تطرقه لاستقرار إسماعيل υ في مكة؛ فقال: "والذي اعتبره المؤرخون المسيحيون تأكيدًا لوعد الله تعالى لإبراهيم كما ذكر الكتاب المقدس: وقال إبراهيم لله: فليعش إسماعيل بين هؤلاء يا رب، فأجاب الله: لقد سمعتُ قولك عن إسماعيل، وباركته وسأجعله أمة سيأتي-يلد له-اثنا عشر أميرًا، وسأجعل منه أمة عظيمة"[26].

والصواب أنَّ نقول إن ذلك استجابة لدعاء إبراهيم υ حين سأل ربه Y في دعائه أن يجعل قلوب بعض خلقه تنزع إلى مَسَاكِن ذريته الذين أسكنهم بواد غير ذي زرع عند بيته المحرَّم؛ وهو الدعاء الوارد في قوله تعالى: { رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ }([إبراهيم:37].

وهو المفهوم من نص الكتاب المقدس الذي استشهد به المؤلف؛ فقول إبراهيم υ: "فليعش إسماعيل بين هؤلاء يا رب" فـ"ياء" النداء في قوله: "يا رب" تفيد الدعاء، وقوله: "فأجاب الله"

---

(24) الرسول: حياة مُحَمَّد، ر. ف. بودلي، ترجمة: مُحَمَّد مُحَمَّد فرج، وعبد الحميد جوده السحار، مكتبة مصر، شارع كامل صدقي، الفجالة، (د.ط)، (د.ت)، (ص19).

(25) الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح الحادي والعشرون، آية: (9).

(26) مُحَمَّد ρ خلفاؤه، مرجع سابق، (ص66).

جملة صريحة في استجابة الدعاء.

وبناء عليه يتضح أنَّ الله تعالى استجاب لدعاء نبيه إبراهيم υ، أما كون الله I وعده ابتداءً فلم فلا دليل عليه، والذي ذكره أهل التأويل والمؤرخون في قصة إسكان إبراهيم لزوجه هاجر وابنها إسماعيل، أنَّ الله أمره بذلك قالوا: إن الله I لما بوأ إبراهيم مكان البيت خرج إليه من الشام، ومعه إسماعيل وأمه هاجر، وإسماعيل رضيع، ومعه جبريل υ يدله على موضع البيت، فكان لا يمر بقرية إلا قال: أبهذه أمرت يا جبريل؟ فيقول جبريل: امضه، حتى قدم به مكة، فقال إبراهيم لجبريل: أههنا أمرت أن أضعهما؟ قال: نعم، فعمد بهما إلى موضع الحجر فأنزلهما فيه، وأمر هاجر أن تتخذ فيه عريشًا ثم رجع، فاتبعته، فقالت: إلى أيّ شيء تكلنا؟ إلى طعام تكلنا؟ إلى شراب تكلنا؟ فجعل لا يردّ عليها شيئا، فقالت: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، قال: فرجعت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كَدَاء[27] أقبل على الوادي فدعا، فقال: { رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}([إبراهيم:37][28].

ثانيًا: آراء إيرفينج فيما يتعلق بإسماعيل υ:

1–وصفه إسماعيل υ بأنَّه عابر للجزيرة العربية.

وصف المؤلف إسماعيل υ بأنَّه عابر للجزيرة العربية لا ساكنًا من سكانها، فقال: "وصار هذا العابر جدًّا من أجداد العرب"[29].

وهذا الوصف غير صحيح؛ إذ إنّ إسماعيل υ ووالدته أول من اتخذ مكة موطنًا بعد الطوفان بدليل قوله تعالى: { رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ}

---

(27) كَدَاء: موضع بأعلى مكة عند المحصّب قُرب ذي طوى، ويعرف اليوم بربع الحجون، ويدخل طريقه بين مقبرتي المعلاة، ويفضي من الجهة الأخرى إلى حيّ العتيبة وجرول. ينظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، (439/4)، والمعالم الأثيرة في السنة والسيرة، مُحَمَّد بن مُحَمَّد حسن شرَّاب، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1411هـ، (ص231).

(28) ينظر: تفسير الطبري، مرجع سابق، (19/17)، والكامل في التاريخ لابن الأثير، مرجع سابق، (93/1)، والبداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق، (357/1).

(29) مُحَمَّد ρ خلفاؤه، مرجع سابق، (ص66).

[إبراهيم:37]، قال المؤرخون: لما جاء إبراهيم υ بهاجر وابنها إسماعيل، وهي ترضعه فوضعهما عند البيت، وليس بمكة يومئذٍ أحد وليس بها ماءٌ ووضع عندهما شيئًا من التمر والماء، ثم قَفِلَ إبراهيم منطلقًا فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيءٌ؟ فقالت له ذلك مرارًا وجعل لا يلتفت إليها.

فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا ثم رجعت.

وجعلت أم إسماعيل ترضعه وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد عطشت وعطش ابنها، وانطلقت تبحث عن الماء فوجدت الصفا أقرب جبلٍ يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي، ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا، فلم تر أحدا، ففعلت ذلك سبع مراتٍ، فلما أشرفت على المروة سمعت صوتًا فقالت: صهٍ–تُريدُ نفسها–ثُم تَسَمَّعَتْ فَسَمِعته أيضًا؛ فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غواثٌ، فإذا هي بالْمَلَكِ عند موضع زمزم، فبحث بعقبه، أو بجناحه حتى ظهر الماءُ فجعلت تحُوضُهُ وتقُولُ بيدها هكذا، وجعلت تغرفُ من الماء في سقائها وهُو يفُورُ بعدما تغرفُ.

وكان موضع البيت مرتفعًا من الأرض تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك، حتى مرت بهم رُفْقَةٌ من جُرْهمٍ[30]–أو أهل بيتٍ من جرهمٍ–مقبلين من طريق كَدَاء، فنزلوا في أسفل مكة، فرأوا طائرًا عائفًا[31]، فقالوا: إنَّ هذا الطائرَ ليدور على ماءٍ، ولَعَهْدُنا بهذا الوادي وما فيه ماءٌ، فأرسلوا من ينظر فإذا هم بالماء، فرجع فأخبرهم بالماء، فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء، فقالوا: أتأذنين لنا أن ننزل عندك؟ فقالت: نعم، ولكن لا حق لكم في الماء، قالوا: نعم[32].

---

(30) اختلف في نسبه فقيل: جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح، وقيل: جرهم بن عابر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ينظر: أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1417هـ–1996م، (8/1)، وعجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق: عبد الله كنون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط2، 1393هـ–1973م، (ص40).

(31) العائف: الذي يتردد على الماء ويحوم حوله. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري، مرجع سابق، (147/3)، مادة: (عيف).

(32) ينظر: البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، (د.ط)، (د.ت)، (60/3)، والكامل في التاريخ لابن الأثير، مرجع سابق، (93/1)، وتاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، مُحَمَّد بن أحمد بن الضياء، تحقيق: علاء إبراهيم، وأيمن نصر، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط2، 1424هـ–2004م، (ص34).

فنزلُوا عليها وجَاؤوا بأهلهم فنزلُوا معهم حتى إذا كان بها أهلُ أبياتٍ منهم، وشبَّ إسماعيل وتعلَّم منهم العربيَّة وأعجَبَهم حين شبَّ، فلمَّا أدرك زوَّجوه امرأة منهم[33].

2–كون إسماعيل υ أحد أجداد العرب:

قال المؤلف في معرض حديثه عن أحوال العرب وجزيرتهم: "وتزوج إسماعيل ابنة مَعَدّ[34] أمير من أمراء جرهم، وصار هذا العابر جدًّا من أجداد العرب"[35].

أما أقوام العرب فقد قسمها المؤرخون إلى ثلاثة أقسام؛ بحسب السلالات التي ينحدرون منها:

العرب البائدة: وهم العرب القدامى الذين انقرضوا تمامًا ولم يمكن الحصول على تفاصيل كافية عن تاريخهم، مثل: عاد، وثمود، وطَسْم[36]، وجَدِيس[37]، وعِمْليق[38]، وأُمَيْم[39]، وجُرْهُم،

(33) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1412هـ–1992م، (267/1)، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي، مرجع سابق، (387/1)، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، مُحَمَّد بن أحمد الفاسي، الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1421هـ–2000م، (4/2).

(34) لم أقف على ذكر لهذا الأمير الجرهمي المسمى معد، والذي ذكره المؤرخون أنَّ إسماعيل υ تزوج أكثر من امرأة من جرهم، ونصوا على أم ولده وهي: السيدة–وقيل: رَعْلَة–بنت مضاض بن عمرو الجرهمي، وقيل: رعلة بنت يشجب بن يعرب. ينظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مُحَمَّد بن عبد الله الأزرقي، دراسة وتحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، (د.ت)، (55/1)، وتاريخ الطبري، مرجع سابق، (314/1)، والبداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق، (445/1).

(35) مُحَمَّد ρ خلفاؤه، مرجع سابق، (ص66).

(36) نسبة إلى طَسْم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح. ينظر: التيجان في ملوك حمير لابن هشام، مرجع سابق، (ص332)، والكامل في التاريخ لابن الأثير، مرجع سابق، (321/1).

(37) نسبة إلى جَدِيس بن عابر بن إرم بن سام بن نوح. ينظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، مرجع سابق، (321/1)، والبداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق، (130/1).

(38) نسبة إلى عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح. المعارف، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1992م، (ص27)، والبداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق، (294/1).

(39) نسبة إلى أميم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح. ينظر: المحبَّر في التاريخ لابن حبيب، مرجع سابق، (ص190)، وجمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م–1403هـ، (ص462)، والبداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق، (399/3).

وحَضُور[40] ، ووَبَار[41] ، وعَبِيل[42] ، وجاسم[43] ، وحَضْرَمَوت[44] .

العرب العاربة: وهم العرب المنحدرة من صلب يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان، وتسمى بالعرب القحطانية.

العرب المستعربة: وهي العرب المنحدرة من صلب إسماعيل υ، وتسمى بالعرب العدنانية[45] .

ومما سبق يتضح صحة قول المؤلف إنَّ إسماعيل υ أحد أجداد العرب، وهم العرب العدنانية.

3-أنَّ الله تعالى أوحى إلى إسماعيل أن يبني:

ذكر المؤلف في معرض حديثه عن التقاليد العربية أنَّ الله I أوحى إلى إسماعيل υ أن يبني الكعبة وأنَّ إبراهيم υ كان يعاونه فقال: "وبقي إسماعيل مع الغزاة الجدد[46] ...وبمرور الزمن

---

(40) اختلف في نسبهم فقيل: نسبة إلى حُضُور بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس ابن معاوية بن جشم بن حمير، وقيل: بل حُضور بن قحطان. ينظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم، مرجع سابق، (ص434)، واللباب في تهذيب الأنساب، علي بن مُحَمَّد بن الأثير الجزري، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، (ص372).

(41) اختلف في نسبهم فقيل: وبار بن أميم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح، وقيل: وبار بن أرم بن سام بن نوح. ينظر: الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري، مرجع سابق، (ص3)، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1400هـ-1980م، (ص447).

(42) اختلف في نسبهم؛ فقيل: عبيل بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، وقيل: عبيل بن مهلائيل بن عوص. ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي، مرجع سابق، (ص348)، وسمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين العاصمي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ-1998م، (172/1).

(43) نسبة إلى جاسم بن عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح. ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي، مرجع سابق، (ص202)، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر بن رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1414هـ-1994م، (157/1).

(44) نسبة إلى حضرموت بن قحطان بن عابر بن إرم بن سام بن نوح. ينظر: الإنباه على قبائل الرواة، يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ط1، 1405هـ-1985م، (ص134)، والبداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق، (350/8).

(45) ينظر: التيجان في ملوك حمير لابن هشام، مرجع سابق، (ص327-328)، والبداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق، (283/1)، وقلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1402هـ-1982م، (ص107).

(46) يعني جرهم.

أوحى الله تعالى له بإعادة بناء الصرح فبنى الكعبة بنفس مكان الصرح القديم–الحطيم–حيث كانت الغيمة السماوية، وقد ساعده في هذا العمل الصالح والده إبراهيم عليه الصلاة والسلام"[47].

ما ذكر المؤلف هنا من أنَّ من أُوحِيَ إليه ببناء الكعبة هو إسماعيل υ خطأ بيَّن؛ فالذي نصَّت عليه المصادر أنَّ الله I أمر إبراهيم υ ببناء الكعبة؛ فقالوا: إن الله Y أمر إبراهيم υ ببناء بيت له يُعْبدُ فيه ويُذْكر[48].

ومن النصوص الدالة على أنَّ إبراهيم υ هو المأمور ببناء الكعبة قول المؤرخين: إنَّ إبراهيم υ لبث ما شاء الله أن يلبث، ثم جاء إلى إسماعيل υ فسلم عليه ونزل إليه فقعد معه، فقال إبراهيم: يا إسماعيل، إن الله تعالى قد أمرني بأمر، فقال له إسماعيل: فأطع ربك فيما أمرك، فقال إبراهيم: يا إسماعيل أمرني ربي أن أبني له بيتًا، فقال إبراهيم: قد أمرك أن تعينني على بنائه، قال: إذن أفعلُ، فقام معه فجعل إبراهيم يبنيه، وإسماعيل يناوله الحجارة[49].

وفي رواية: قال إبراهيم: وتعينني؟ قال إسماعيل: وأُعينك[50].

وأوضح دليل على أنَّ الموحى إليه ببناء البيت هو إبراهيم υ قوله تعالى: {ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي }[الحج:26] قال أهل التأويل: أمر الله تعالى إبراهيم الخليل υ بعمارة هذا البيت، والْمُبَلِّغ لهذا التكليف هو جبريل υ[51].

فيتبين من النقول السابقة أنَّ المعني الأول ببناء البيت كان إبراهيم υ، أما إسماعيل υ فكان دوره المساعدة والإعانة على العمل، وهو عكس ما قرره المؤلف، والله تعالى أعلم.

---

(47) مُحَمَّد ρ خلفاؤه، مرجع سابق، (ص92).

(48) ينظر: تاريخ الطبري، مرجع سابق، (251/1)، و

(49) ينظر: أخبار مكة للأزرقي، مرجع سابق، (35/1)، وتاريخ الطبري، مرجع سابق، (259/1)، والكامل في التاريخ لابن الأثير، مرجع سابق، (95/1).

(50) ينظر: أخبار مكة للأزرقي، مرجع سابق، (36/1)، والبداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق، (360/1)، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، للفاسي، مرجع سابق، (5/2).

(51) ينظر: تفسير الطبري، مرجع سابق، (603/18)، وتفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ–1998م، (432/1)، ومفاتيح الغيب=تفسير الرازي، مُحَمَّد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ–2000م، (127/8).

ثالثًا: بناء الكعبة:

1-أمر إسماعيل υ ببناء الكعبة:

تقدم الحديث عن هذه النقطة في الفقرة السابقة بما يغني عن إعادة الكلام عليها مرة أخرى.

وخلاصة ما تقدم من الأقوال أنَّ المؤلف أخطأ بالقول إن الله Y وجل أوحى إلى إسماعيل υ أن يبني الكعبة، وأنَّ إبراهيم υ كان يعاونه، والصواب عكس ما ذهب إليه المؤلف، والله تعالى أعلم[52].

2-أن الحجر الأسود كان مَلَكًا موكَّلًا بحفظ آدم υ في الجنة، وأنَّه حُول إلى حجر لإهماله عمله:

ذكر المؤلف في معرض حديثه عن بناء الكعبة أنَّ الحجر الأسود كان ملكًا موكَّلًا بحفظ آدم υ وأنَّه حُول إلى حجر لإهماله عمله؛ كنوع من العقاب له، فقال: "ويدَّعي التقليد المحافظ أنَّ هذا الحجر كان بالأساس الملاك الحارس لآدم في الفردوس؛ لكنه حُول إلى حجر، وألقي به مع آدم في السقطة-الهبطة-عقابًا لإهماله بعمله"[53].

تأثر المؤلف بالمذهب الشيعي يتضح جليًّا في هذا القول، فهذه القصة مروية في أمهات كتبهم منسوبةً إلى الإمام جعفر الصادق[54] -رحمه الله- ونصها: "عن بكير بن أعين[55] قال: قال لي أبو عبد اللهυ: هل تدري ما كان الحجر؟ قال: قلت: لا، قال: كان مَلَكًا عظيمًا من عظماء الملائكة عند الله Y، فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أول من آمن به وأقر ذلك الملك، فاتخذه الله أمينًا على جميع خلقه، فألْقَمه الميثاق، وأودعه عنده، واستعبد الخلق أن

---

(52) ينظر: الفقرة السابقة.

(53) مُحَمَّد ρ خلفاؤه، مرجع سابق، (ص93).

(54) جعفر بن مُحَمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، الإمام الزاهد أحد الأعلام، يَعُدُّه الشيعة سادس الأئمة الاثني عشر، افترى عليه الشيعة ونسبوا له كثيرًا من عقائدهم، توفي سنة: (148هـ). ينظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، مرجع سابق، (471/1)، وسير أعلام النبلاء للذهبي، مرجع سابق، (255/6).

(55) بكير بن أعين الشيباني، أحد أصحاب الإمام جعفر الصادق والرواة عنه. ينظر: رجال الكشي، مُحَمَّد بن الحسن الطوسي، جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بقم، إيران، ط1، 1426هـ، (ص160)، ولسان الميزان، مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: دائرة المعارف العثمانية بالهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات الإسلامية، بيروت-لبنان، ط1، ().

يجددوا عنده في كل سنة الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذه الله عليهم، ثم جعله الله مع آدم في الجنة يذكر الميثاق ويجدد عنده الإقرار في كل سنة، فلما عصى آدم فأخرج من الجنة أنساه الله العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه وعلى ولده لمحمد ووصيه وجعله باهتًا حيرانًا، فلما تاب على آدم حوَّل ذلك الملك في صورة دُرَّةٍ بيضاء فرماه من الجنة إلى آدم وهو بأرض الهند، فلما رآه آنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنه جوهرة"[56].

وهذه القصة لا ورود لها في المراجع السنية التي اطلعت عليها، مما يؤكد أنَّها من موضوعات الشيعة على الإمام جعفر الصادق–رحمه الله–.

وقد عدَّد أهل السير ما أنزل مع آدم υ من الجنة، فعدُّوا منها الحجر الأسود، ولم يذكروا أنَّه كان ملكًا، وأكثر ما ذكروا من صفته أنَّه كان ياقوتة من يواقيت الجنة، وأنَّه كان أبيض شديد البياض[57].

وقال آخرون: بل إن جبريل υ هو الذي نزل بالحجر الأسود على آدم υ حين استوحش من وجوده في الأرض، ولم يذكروا أنَّه كان ملكًا[58].

وقد ورد عدت أحاديث في الحجر الأسود وأنَّه نزل من الجنة، ومن أصحها:

1–عن ابن عباس–رضي الله عنهما–قال: قال رسول الله ﷺ: ((نَزَلَ الحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنَ الجَنَّةِ، وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ))[59].

2–وعنه τ أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((إِنَّ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ نَزَلَ مِنَ الْجَنَّةِ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ،

---

(56) علل الشرائع، مُحَمَّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، دار المرتضى، بيروت–لبنان، ط1، 1427هـ–2006م، (429/1)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مُحَمَّد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط1، 1409هـ، (318/13)، وبحار الأنوار الجامع لأخبار الأئمة الأطهار، مُحَمَّد باقر المجلسي، مؤسسة إحياء، الكتب الإسلامية، قم–الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ط1، 1388هـ–1968م، (269/26).

(57) ينظر: سيرة ابن إسحاق، مرجع سابق، (ص95)، وأخبار مكة للأزرقي، مرجع سابق، (262/1)، وأخبار مكة للفاكهي، مرجع سابق، (90/1)، وتاريخ الطبري، مرجع سابق، (127/1).

(58) ينظر: أخبار مكة للأزرقي، مرجع سابق، (40/1)، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، مرجع سابق، (212/1).

(59) أخرجه أبو داود في سننه، مرجع سابق، أبواب الحج، باب ما جاء في الحجر الأسود والركن والمقام، (217/3)، حديث: (877)، وقال الترمذي–رحمه الله–: "حديث حسن صحيح".

أَوِ الْبَرَدِ، فَمَا سَوَّدَهُ إِلاَّ خَطَايَا بَنِي آدَمَ))[60].

المبحث الثاني: آراء إيرفينج المتعلقة بأديان العرب وعباداتهم قبل البعثة

تطرق المؤلف لعبادات العرب القديمة، وذكر منها الحج والصلاة والصوم، ومن المآخذ عليه في هذا الجانب ما يلي:

أولاً: الحج:

ذكر المؤلف أن العرب كانوا يقدسون مكة، وكانت مقصد الحاج العربي من جميع أقطار الجزيرة العربية، وبلغ من شدة تقديسهم لها أنهم حرموا أشهر الحج، فكانوا يمتنعون عن القتال فيها فينحون سيوفهم ويكسرون رؤوس رماحهم، إلا أنَّه وقع في خطأ تحديد الأشهر الحرم، فقال: "وعدف الحج إليها من كل العرب، وشعورهم من كل العرب، وشعورهم كان يحترم هذا المكان لدرجة أنَّهم بذهابهم إليه وإيابهم كل عام خلال أربعة أشهر –حسب المواصلات القديمة–للحج كانوا يعتبرون هذه الأشهر حرمًا من كل حرب"[61].

يقرر المؤلف في هذه الفقرة من كلامه أنَّ الأشهر الحرم عند العرب كانت الأشهر التي يؤدونا فيه الحج، ويفهم من كلامه أنَّها أربعة أشهر متوالية، والصواب أنَّ الأشهر الحرب الأربعة هي ثلاثة متوالية هي: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، والرابع منفرد، وهو شهر رجب، إلَّا أنَّ بعض العرب كانوا ينسؤون بعض الأشهر فيحلونها ويحرمون غيرها، وأكثر ما اختص بذلك شهر المحرم[62].

أما الحج عند العرب في زمن الجاهلية فقد انقسموا فيه ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الحُمْسُ، وكانوا يُسمَّوْن أهل الله، وهم قريش وأكثر العرب كالأوس والخزج،

---

(60) أخرجه بألفاظ متقاربة أحمد في المسند، مرجع سابق، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عن النبي ρ، (13/5)، حديث: (2795)، والبزار في مسنده، مرجع سابق، مسند ابن عباس–رضي الله عنهما–، (267/11)، حديث: (5056)، وابن خزيمة في صحيح ابن خزيمة، مُحَمَّد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: د.مُحَمَّد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، كتاب المناسك، باب العلة التي من سببها اسودَّ الحجر وصفة نزوله من الجنة، والدليل على أنَّه إنَّما سوَّدته خطايا بني آدم، (219/4)، حديث: (2733)، وصححه الألباني. ينظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني، مرجع سابق، (820/2).

(61) مُحَمَّد ρ خلفاؤه، مرجع سابق، (ص94).

(62) ينظر: أخبار مكة للأزرقي، مرجع سابق، (147/1)، وتاريخ الطبري، مرجع سابق، (285/2)، والبداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق، (203/2) وما بعدها، وقد فصل الإمام ابن كثير–رحمه الله–في هذه المسألة وذكر أقوالًا كثيرة فيها.

وكنانة وخُزاعة، وثقيف، وغطفان، وقُضاعة، وغيرها من قبائل العرب المحيطة بمكة، وقبائل الحجاز، وعمان وبعض قبائل اليمن، وهم أكثر قبائل العرب تشديدًا لحرمة الأشهر الحرم؛ فقد كانوا يحرمون القتال والصيد، وكانوا إذا نسكوا حرموا على أنفسهم جملة من الأمور منها أنهم: لا يبتنون في حجّهم شعراً ولا وبراً ولا صوفاً ولا قطناً، ولا يأكلون لحماً، ولا يمسّون دهناً، ولا يلبسون إلا جديداً، ولا يطوفون بالبيت إلا في حذائهم وثيابهم، ولا يمسّون المسجد بأقدامهم تعظيماً لبقعته، ولا يدخلون البيوت من أبوابها.

القسم الثاني: الحلة، وهم جل قبيلة تميم، وكانوا يحرمون القتال، ويحرمون الصيد في الحرم ولا يحرمونه في غيره، ويتواصلون في النسك، ويمنح الغني ماله أو أكثره في نسكه، ولا يلبسون إلا ثيابهم التي نسكوا فيها، ولا يلبسون في نسكهم الجدد، ولا يدخلون من باب دار، ولا باب بيت، ولا يؤويهم ظل ما داموا محرومين، وكانوا يدهنون ويأكلون اللحم.

القسم الثالث: الطلس، وهو جل قبائل اليمن، وحضرموت، وعَكّ، وإياد بن نزار، وكانوا وسطًا بين الحمس والحلة يصنعون في إحرامهم ما يصنع الحلة، ويصنعون في ثيابهم، ودخولهم البيت ما يصنع الحمس، وكانوا لا يتعرّون حول الكعبة، ولا يستعيرون ثياباً، ويدخلون البيوت من أبوابها، وكانوا لا يئدون بناتهم، وكانوا يقفون مع الحلة ويصنعون ما يصنعون [63].

كان سائر العرب لا يقاتلون في الأشهر الحرم أحدا، ولو لقي أحدهم قاتل أبيه أو أخيه، ولا يستاقون مالًا، إعظامًا للشهور الحرم، إلا خثعمًا وطيئًا فإنهم كانوا يغيرون في الأشهر الحرم، ويحرمون من تلك السنة المحرم، ثم يعدُّون الشهور على عدتهم التي عدوها في العام الأول، فيحجون في كل شهر حجتين، ثم ينسأ في السنة الثانية، فيحلون شهر محرم ويحرمون شهر صفر في عدتهم هذه إلى صفر في العدة الثانية حتى تكون حجتهم في صفر أيضًا حجتين، وكذلك الشهور كلها حتى يستدير الحج في كل أربع وعشرين سنة إلى المحرم الذي ابتدأوا منه الإنساء، يحجون في الشهور كلها في كل شهر حج [64].

---

(63) ينظر: أخبار مكة للأزرقي، مرجع سابق، (147/1)، والمحبر لابن حبيب، مرجع سابق، (ص178)، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي، مرجع سابق، (51/2)، وما بعدها.

(64) ينظر: أخبار مكة للأزرقي، مرجع سابق، (147/1)، والبداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق، (202/5)، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي، مرجع سابق، (50/2).

وبالتالي فإن العرب لا تقول بأن الأشهر الحرم الأربعة متتالية، والله تعالى أعلم.

2-صلاة العرب عند البيت قبل الإسلام:

ذكر المؤلف صفة صلاة العرب قبل الإسلام فقال: "ويصلون ثلاث مرات في اليوم؛ في الفجر والظهر والمغرب، متوجهين نحو الكعبة كقبلة لهم"[65].

وردت هذه الصلوات عن بعض العرب بروايات غير ثابتة، ومنها ما روي أنَّ زيد بن عمرو بن نفيل[66] يراقب الشمس فإذا زالت استقبل للكعبة فصلى ركعة سجدتين، ثم يقول: هذه قِبلة إبراهيم وإسماعيل، لا أعبد حجرًا ولا أصلِّي له، ولا آكل ما ذبح له، ولا استقسم الأزلام، وإنا أصلي لهذا البيت حتى أموت[67].

ووردت صلاة الفجر في بعض أشعار عرب الجاهلية؛ ومنهم قول الشاعر[68]:

وَلَمَّا رَأَيْنَ الصُّبْحَ بَادَرَ ضَوْءُهُ دَبِيبُ قَسَطَا الْبَطْحَاءَ أَوْ هُنَّ أَقْطَفُ

وأَدرَكْنَ أَعْجَازًا مِنَ اللَّيْلِ بَعْدَمَا أَقَامَ الصَّلَاةَ الْعَابِدُ الْمُتَحَنِّثُ

وهذه الصلاة التي وردت عند العرب قبل الجاهلية إن ثبتت روايتها فهي لم تكن الصلاة الشائعة عندهم، بل الثابت من صلاتهم ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: {يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ}[الأنفال:35]، قال أهل التأويل: الْمُكاء الصفير، وقيل: المكو أن يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما في فيه، ثم يصيح، والتصدية: التصفيق، فقد كانت قريش تطوف بالكعبة عراة تصفِّر

---

(65) ينظر: أخبار مكة للأزرقي، مرجع سابق، (147/1)، والبداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق، (202/5)، وشفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للفاسي، مرجع سابق، (50/2).

(66) زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي، أحد المتحنثين من العرب في الجاهلية، كان يعبد الله تعالى على ملة إبراهيم υ، وورد في الحديث أنَّ النبي ρ قال عنه: (يُبعثُ أُمَّةً وَحْدَه)، رواه البزار وأبو يعلى والطبراني، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (418/9): "رجال أبي يعلى، والبزَّار وأحد أسانيد الطبرانيّ، رجال الصحيح، غيرَ مُحَمَّد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديثِ"، توفي قبل البعثة بعام، وقيل: عام البعثة. ينظر: المنمق في أخبار قريش، مُحَمَّد بن حبيب الهاشمي، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1405هـ-1985م، (ص153)، والكامل في التاريخ لابن الأثير، مرجع سابق، (647/1).

(67) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق، (298/2).

(68) القائل هو جَرَّان الْعُود النميري، ينظر: ديوان جران العود النميري، شرح وتحقيق: كارين صادر، دار صادر بيروت، ط1، 1999م، (ص62).

وتصفِّق[69].

أمَّا الصلاة التي فُرضت في الإسلام في أوقات معلومة وبالكيفية التي يؤدَّى بها فلم ترو المصادر أنَّها كانت معهودة عند العرب في الجاهلية، وأكثر ما يُطلق عليه الصلاة عندهم الدعاء، وقد وردت الصلاة بمعنى الدعاء في كثير من أشعار الجاهلية، ومنها:

قول الشاعر[70]:

تَقـول بِنْتِـي وَقـد قَرَّبْـتُ مُـرْتَحِلا يَا رَبَّ جَنِّبْ أَبِي الأوصابَ والوجعَا

عليكِ مثلُ الَّذِي صَليتِ فَاغْتَمِضِي نومًـا فَـإِن لِجَنْـبِ المـرءِ مُضْـطَجِعَا

أي لك مثل الذي دعوت لي[71].

وقال الآخر[72]:

أَعَمْـرو إِنْ هَلَكْـتَ وَكُنْـتُ حَيًّـا فَـإِنِّي مُكْثِـرٌ لَـكَ مِـنْ صَـلَاتِي

أي دعائي.

ومن العبادات التي ذكر المؤلف أنَّها كانت معروفة عند العرب عبادة الصوم، فذكر أنَّها كانت "عندهم ثلاث مناسبات للصوم في كل شهر طوال السنة؛ اليوم السابع، والتاسع، وفي اليوم الثلاثين الأخير من كل شهر"[73].

والصوم كان معروفًا عند العرب شأنهم في ذلك شأن الأمم السابقة، لا سيما من احتك من العرب باليهود كسكان المدينة، وكما كان للعرب احتكاك بكثير من النصارى خصوصًا تجار العرب الذين كان يرتحلون إلى الشام واليمن وغيرها من البلاد، وهذا الصوم هو صوم الرهبان

---

(69) ينظر: تفسير الطبري، مرجع سابق، (522/13)، وتفسير القرطبي، مرجع سابق، (400/7)، وتفسير ابن كثير، مرجع سابق، (52/4).

(70) القائل هو الأعشى. ينظر: ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، 1980م، (ص101).

(71) ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418هـ–1997م، (296/2).

(72) القائل رجل من قبيلة كلب. ينظر: المحبر لابن حبيب، (ص320).

(73) محمد ρ خلفاؤه، مرجع سابق، (ص94).

ويتمثل في السكوت والتأمل، والجلوس في خَلوة؛ للتفكير في ملكوت السماوات والأرض، ويظهر مؤلفات أهل الأخبار أن من الجاهليين من اقتدى بأهل الكتاب، وسلك مسلكهم، فكان يصوم، صوم السكوت، والتأمل، والامتناع عن الكلام، وكان بعض حنفاء أهل مكة ينزوون في غار حراء، وفي شعاب جبال مكة[74].

أمَّا تخصيص أيام معينة بالصوم عند عرب الجاهلية-كما ذكر المؤلف-فلم أقف في المصادر العربية على خبر صحيح فيها، إلا ما ورد أنَّ قريشًا في الجاهلية كانت تصوم يوم عاشوراء، فعن عائشة-رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قالت: ((كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصُومُ عَاشُورَاءَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكانَ رَسولُ اللهِ ﷺ يَصُومُه))[75].

وعللوا ذلك بأن قريشًا أذنبت ذنبًا في الجاهلية، فَعَظُمَ في صدورِهم، وأرادوا التكفير عن ذنبهم، فقرَّروا صيام يوم عاشوراء، فصاموه شكرًا لله على رفعه الذنب عنهم، وقيل: بل أصابهم قحطٌ ثُمَّ رُفع عنهم فصاموه شكرًا لله، وكانوا في هذا اليوم يحتفلون، ويُعَيِّدُون، ويَكْسون الكعبة[76].

كما رُويت أخبار عن عبد المطلب جد النبي ﷺ أنَّه كان يعظم رمضان، فكان إذا أهلَّ هلال رمضان دخل حِراء فلم يخرج حتى ينسلخ الشهر، وكان يكثر فيه من إطعام المساكين[77].

أمَّا تخصيص ثلاثة أيام من كل شهر بالصوم قبل بزوغ الإسلام فكان من عبادات بعض الوثنيين خارج جزيرة العرب كالبَرَاهِمة[78] والبوذيين[79] في شبه القارة الهندية، فكان من طقوسهم

---

(74) ينظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، السيد محمود شكري الألوسي، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه: مُحَمَّد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، (د.ت)، (288/2)، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد العلي، دار الساقي، بيروت، ط4، 1422هـ-2001م، (339/11).

(75) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء، (44/3)، حديث: (2002)، ومسلم في صحيحه، مرجع سابق، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، (792/2)، حديث: (1125)، واللفظ له.

(76) ينظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي، مرجع سابق، (288/2)، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد، مرجع سابق، (339/11).

(77) ينظر: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي، مرجع سابق، (288/2)، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد، مرجع سابق، (339/11).

(78) البراهمية: نسبة إلى برهما، ومعناه الله باللغة السنسكريتية، وهم أفراد الطبقة العليا من رجال الدين الهندوس، ويعتقدون بأنَّ الله واحد لا شريك له، لكنهم لا يؤمنون بالأنبياء، وعندهم كتاب مقدس يطلقون عليه اسم: الفيدا، وفسرته عدة كتب أخرى من أشهرها: دماندرا

في الصوم الامتناع عن تناول أي شيء حتى ابتلاع الريق لمدة أربع وعشرين ساعة، وقد يمتد إلى ثلاثة أيام لا يتناولون كل يوم إلا قدحًا من الشاي[80].

أمَّا ما نسبه المؤلف للعرب من تخصيص الأيام الثلاثة المذكورة من كل شهر فلعله أخذه من اختلاف المفسرين في تأويل قوله تعالى: {ۚ}[البقرة:184] وهو تدليس دأب عليه المستشرقون، إمَّا جهلًا منهم بأحكام الإسلام، أو عمدًا منهم بغية تشويهه ونسبة أحكامه إلى البشر، وأن النبي ﷺ تأثر بمن كان قبله من أصحاب الديانات السالفة، بين فرض الصوم على المسلمين في أول الإسلام، وبين ما ورد في فرض صيام شهر رمضان، قال أهل التفسير: الأيام المعدودات صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وكان صيامها فُرض على المسلمين قبل أن يُفرض عليهم صيام شهر رمضان، وقيل: ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عاشوراء[81].

المبحث الثالث

آراء إيرفينج المتعلقة بمولد النبي ﷺ قبل البعثة ونشأته وعلاقته بالأديان.

ماسترا. ينظر: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، مُحَمَّد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط1، 1407هـ–1987م، (ص126)، والفصل في الملل والأهواء والنِّحل، علي بن مُحَمَّد بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، (ط،ت)، (63/1)، والملل والنحل للشهرستاني، مرجع سابق، (95/3).

(79) البوذية: نسبة إلى جوتاما بوذا بن كابيلا فاستو، كان أحد حكماء الهند القدامى، تعتقد البوذية بأنَّ الخالق هو النرفانا، وتعني الإطلاق الطبيعي أو التسامي، أوهو بوذا نفسه، وتعد رابع داينة من حيث عدد الأتباع على مستوى العالم. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب للجهني، مرجع سابق، (758/2).

(80) ينظر: دفاع عن مُحَمَّد ρ ضدالمنتقصين من قدره، د.عبد الرحمن بدوي، ترجمة:د.كمال جاد، الدار العالمية للكتب والنشر، (د.ط)، (د.ت)، (ص168).

(81) ينظر: تفسير الطبري، مرجع سابق، (141/3–415)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن=تفسير البغوي، الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: مُحَمَّد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ–1997م، (196/1)، والبحر المحيط في التفسير، أبو حيان مُحَمَّد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1420هـ، (180/2).

المطلب الأول: آراء إيرفينج المتعلقة بالولادة والمعجزات المصاحبة لها:

حدد المؤلف مكان وسنة وشهر ميلاد النبي ﷺ بقوله: "ولد رسول الإيمان الإسلامي العظيم في مكة في أبريل/نيسان عام 569م" {75}[82].

ووفقًا لمصادر السيرة والتأريخ الإسلامية فإن مولد النبي ﷺ على قول الجمهور كان يوم ثلاثين من شهر أغسطس سنة 570م، وقيل: يوم اثنين وعشرين من شهر أبريل سنة 571م، فيتضح أنَّ التاريخ الذي حدده المؤلف لولادته ﷺ يجافي الراجح من أقوال علماء الإسلام[83].

ويؤيد ما ذهبت إليه ما توصل له عددٌ من الباحثين حديثًا في علم الفلك من أنَّ عام الفيل يوافق عام 570، أو 571م[84].

وقد اختلف أصحاب السير والتأريخ من المسلمين في الشهر وتاريخ اليوم الذي ولد فيه ﷺ بعد اتفاقهم على العام أنَّه عام الفيل، واليوم وهو الاثنين.

القول الأول: شهر ربيع الأول[85].

واختلفوا في تحديد يوم مولده ﷺ فيه على أقوال:

القول الأول في الأيام: الثاني من شهر ربيع الأول[86].

القول الثاني: الثالث منه[87].

---

(82) مُحَمَّد ρ خلفاؤه، مرجع سابق، (ص75).

(83) ينظر: حياة مُحَمَّد ρ ورسالته، مُحَمَّد على اللاهوري، ترجمة: مُحَمَّد يعقوب خان، ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1390هـ، (ص55)، والقول المبين في سيرة المرسلين، مُحَمَّد الطيب النجار، دار الندوة الجديدة، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، (ص78).

(84) ينظر: السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، د.أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، بالمدينة النبوية، ط6، 1415هـ-1994م، (97/1).

(85) وهو قول جمهور العلماء. ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، (158/1-459)، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى، ومُحَمَّد بن عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط1، 1387هـ، (26/3)، والروض الأنف للسهيلي، مرجع سابق، (276/1).

(86) قاله ابن عبد البرّ، ورواه الواقديُّ عن أبي معشر نجيح بن عبدالرحمن المدني.

(87) ذكره ابن جماعة الكناني. ينظر: المختصر الكبير في سيرة الرسول ρ، عبد العزيز بن مُحَمَّد بن جماعة الكناني، تحقيق: سامي مكي العاني، دار البشر، عمان، ط1، 1993هـ، (ص22)، ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين، مُحَمَّد بن عفيف الباجوري المعروف بالشيخ الخضري،

القول الثالث: الثامن منه[88].

القول الرابع: التاسع منه[89].

القول الخامس: العاشر منه[90].

القول السدس: الثاني عشر منه[91].

القول السابع: لثمان بَقِينَ منه[92].

القول الثامن: السابع عشر منه[93].

القول الثاني في الشهور: شهر ربيع الثاني[94].

القول الثالث: شهر صفر[95].

القول الرابع: رمضان في الثاني عشر منه[96].

دار الفيحاء، دمشق، ط2، 1425هـ، (ص9)، الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال، بيروت، ط1، (د.ت)، (ص41).

(88) حكاه الحميديُّ عن ابن حزمٍ، وهو مروي عن الزهري عن مُحَمَّد بن جبير بن مطعم، ونقل ابن عبد البرّ عن أصحاب التاريخ أَنَّهم صحَّحوه، وقطع مُحَمَّد بن موسى الخوارزمي، ورجَّحه ابن دحية. ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، (199/1)، والروض الأنف للسهيلي، مرجع سابق، (282/1)، والسيرة النبوية لابن كثير، مرجع سابق، (509/4).

(89) وهو ما توصل إليه محمود باشا الفلَكي عن دراسة فلكيَّة، واختاره المباركفوري، ورجَّحه ابن عثيمين. ينظر: نور اليقين للشيخ الخضري، مرجع سابق، (ص10–11)، ومجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ مُحَمَّد صالح بن عثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، دار الثريا، ط–الأخيرة، (1413هـ)، (200/6).

(90) رواه ابن عساكر بسنده عن جعفر الباقر، والشَّعبي. ينظر: تاريخ دمشق الكبير، علي بن الحسين بن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1415هـ–1995م، (75/3)،

(91) وهذا هو المشهور عند الجمهور. ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، (158/1)، و للبيهقي، مرجع سابق، (74/1)، السيرة النبوية لابن كثير، مرجع سابق، (200/1).

(92) قول ثانٍ لابن حزم. ينظر: الروض الأنف للسهيلي، مرجع سابق، (276/1)، والرحيق المختوم للمباركفوري، مرجع سابق، (ص35).

(93) وهو قول بعض علماء الشيعة. ينظر: بحار الأنوار للمجلسي، مرجع سابق، (2/2).

(94) قاله ابن جماعة الكتاني. ينظر: المختصر الكبير في سيرة الرسول ρ، مرجع سابق، (ص22).

(95) قاله الكتاني. ينظر: المرجع السابق.

(96) وهو قول الزبير بن بكار. ينظر: المرجع السابق.

والذي يترجح–والله أعلم–ما ذهب إليه الجمهور.

وما ذهب إليه المؤلف هو أحد الثلاثة الأقوال المذكورة آنفًا وليس أرجحها، فكان الأحرى به أن يورد الأقوال الأخرى، ويذكر الراجح منها.

وفيما يتعلق بالمعجزات المصاحبة لولادة النبي ﷺ فقد ذكر المؤلف عددًا من المعجزات التي ذكرها أصاحب السير والتأريخ[97]، إلا أنَّه أورد عددًا من المعجزات التي لم ترد في كتب أهل السنة والجماعة، وقد اقتبسها من كتب الشيعة، فقال: "ولحظة نزوله أعقبها ضوء أضاء الكون"[98].

هذا المعجزة لم ترد في كتب السنة وإنَّما وردت في كتب الشيعة التي تمتلئ بمثل هذه الخرافات المنسوبة زورًا وبهتانًا إلى معجزات النبي ﷺ[99].

والثابت في كبت السنة والجماعة ما ورد في قصة شق صدره الشريف ﷺ من قول والدته: "رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام"[100].

ويتبين من هذا النص أنَّ الضوء كان رؤيا منام من أمه عند حملها به، لا ما ذهب إليه المؤلف تبعًا لروايات الشيعة.

---

(97) كارتجاس إيوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفه، وانطفاء نيران فارس، ورجم الشياطين بالنجوم، وغاضت بحيرة ساوة، ونحو ذلك مما ذكرته كتب السير الأحاديث، على الاختلاف درجات صحتها. ينظر على سبيل المثال: تاريخ الطبري، مرجع سابق، (166/2)، و للبيهقي، مرجع سابق، (126/1)، والبداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق، (268/2).

(98) محمد ρ وخلفاؤه، مرجع سابق، (ص82).

(99) بحار الأنوار للمجلسي، مرجع سابق، (257/15).

(100) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، (165/1)، وتاريخ الطبري، مرجع سابق، (160/2)، والكامل في التاريخ لابن الأثير، مرجع سابق، (419/1).

المطلب الثاني: آراء إيرفينج المتعلقة بنشأة الرسول ﷺ:

لم يخصص المؤلف نشأة النبي ﷺ بفصل معين؛ وإنَّما بثَّها في ثنايا الكتاب من خلال حديثه عن الفترة التي سبقت بعثته ﷺ.

فتحدث عن فترة طفولته ﷺ واسترضاعه في بادية بني سعد؛ فأورد عددًا من الروايات التي لم ترد في أي مصدر من مصادر السيرة النبوية أو مصادر التاريخ الإسلامي، وهي تندرج تحت الافتراءات التي اتخذها المستشرقون سبيلًا لمحاولة الحط من قدر النبي ﷺ، والتقليل من شأنه.

وتتمثل هذه الافتراءات في الآتي:

ذكر أنَّ سبب إعطاء النبي ﷺ لمرضعته حليمة أنَّ أمه "قد جفَّ حليبها من الحزن على فقد زوجها"[101].

وهذا النص منتشر في مصادر المستشرقين[102]، ولا أرى سببًا لهذه الفرية سوى أن تكون مدخلًا للقدح في النبي ﷺ بأنَّه كان شؤمًا على أمِّه؛ إذ اتفق المؤرخون أن والده توفي والنبي ﷺ في بطن أمه، وبالتالي فإن هذا الأمر يفتح بابًا لكل من أراد ذلك.

وهذه الفرية يكذبها أن من عادات العرب التي كانت سائدة إلى عصر الخلافة العباسية استرضاع أبنائهم خارج المدن، فكانوا يحرصون على التماس المراضع لهم من الأعرابيات أهل البادية؛ حيث الجو الصافي حتى ينشأ الطفل صافي الذهن صحيح الجسم، كما أن الطِّفْل إذا نشأ فِي الْأَعْرَاب، يكون أفْصح لِسَانا لا تتأثر لغته بلكنات أهل الحضر الذي يفدون على المدن في مختلف الأوقات لا سيما في المواسم الدينية، ولم يكن أهل مكة بدعًا في ذلك، وهناك سبب ثالث وهو تفريغ النساء للأزواج[103].

وقد بين بعض المستشرقين هذه النقطة فنصوا على أن: من عادات أشراف العرب أن تدفع بأبنائها إلى حاضنات من القبائل البدوية حتى ينمو الطفل في جوِّ الصحراء النقي، فيغدو

---

(101) محمد ρ وخلفاؤه، مرجع سابق، (ص83).

(102) ينظر على سبيل المثال: الرسول: حياة محمد، ر.ف.بودلي، مرجع سابق، (ص34).

(103) ينظر: الروض الأنف للسهيلي، مرجع سابق، (105/2)، والقول المبين في سيرة سيد المرسلين، للنجار، مرجع سابق، (ص78).

قوي البنية، وهذا ما حدث مع محمد ﷺ"[104].

ومن المعجزات التي نسبها للنبي ﷺ في هذه المرحلة من حياته ﷺ–مرحلة الرضاع في بني سعد– قوله: "نسب المؤرخون الكثير من العجائب التي حصلت لحليمة مع الطفل الرضيع، فخلال عودتها من مكة تكلم البغل الذي يحمل الرضيع معلنًا أنَّه يحمل على ظهره نبيًا عظيمًا، ورسولاً مفضَّلًا من رسل الله"[105].

هذه الشبهة من مداخل طعن المستشرقين في النبي ﷺ، وهو ما دأبوا عليه في وصف معجزاته ﷺ بالأساطير؛ يقول إيرفنج واصفًا بعض الأحداث التي واكبت ميلاد النبي ﷺ: "لدينا أساطير عن بداية حياته"[106].

وتكلم الأتان التي كانت تحمله ﷺ لم يرد في أي مصدر من المصادر الإسلامية التي وقفت عليها، وهو من افتراءات المستشرقين الهادفة إلى السخرية من النبي ﷺ والحط من شأنه.

ومن الشبهات التي أوردها المؤلف في فترة مكوث النبي ﷺ مُستَرْضَعا في بادية بني سعد، ما ذكر عند كلامه عن حادثة شقِّ صدر النبي ﷺ، فقال: "وأخرج قلبه، ونظفه من مغمز الشيطان، وعِلقِ دَمِ الخَطايا الموروثة بالإنسان من أبيه آدم"[107].

هذا التعبير يفسر نظرة المؤلف إلى معجزات النبي ﷺ من جهة الفهم المسيحي؛ فالنصارى يؤمنون بأن خطيئة آدم υ تنتقل بالوراثة إلى أبنائه؛ ولذا يعتقدون أن صلب عيسى υ كان كفارة لهذه الخطيئة، ويستدلون بذلك على نصوص محرفة من التوراة والإنجيل؛ منها:

"هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكيلا يهلك كل من يؤمن به"[108].

"مات من أجل خطايانا حسب الكتب"[109].

---

(104) ينظر: مُحَمَّد ρ في مكة، مونتجمري وات، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، وحسين عيسى، مراجعة: د.أحمد شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، (2002م)، (93)، وحياة مُحَمَّد لبودلي، مرجع سابق، (ص33).

(105) مُحَمَّد ρ وخلفاؤه، مرجع سابق، (ص83).

(106) المرجع السابق.

(107) مُحَمَّد ρ وخلفاؤه، مرجع سابق، (ص87).

(108) سفر يوحنا (16/3)

"إن الله جعل الذي لم يعرف خطيئةً، خطيئةً لأجلنا"[110].

ومن الشبهات التي ألقاها المتعلقة بقصة شق صدره الشريف ﷺ، قوله: "ثم دعا بالسَّكينة، وملأه حكمة وعلمًا كأنَّها وجه هرة بيضاء فأدخلت قلبه"[111].

تنطلق هذه الشبهة من تقديس بعض الحضارات القديمة للقطط حتى اتخذها بعضهم آلهة تعبد كالفراعة والإسكندنافيين والإيرلنديين القدماء، وقد كانت تقدم لها القرابين، وإذا ماتت تُدفن في مقابر فاخرة[112].

والمؤلف في هذه الشبهة ينحو نحو من يعتقد بأنَّ القطط أكثر الحيوانات حنانًا وألفة، وأنها تمثل مسكنًا للأرواح المقدسة؛ كالبوذيين[113].

ولتحقيق الكلام على قصة استرضاع النبي ﷺ في بادية بني سعد أذكر ما ورد على لسان حليمة السعدية مرضعته ﷺ بطولها حتى تتضح حقيقة هذه الشبهات المضللة، وفقًا لما ورد في مصدر معتبر والتأريخ: "كانت حليمة ابنة أبي ذؤيب السعدية أم رسول الله ﷺ التي أرضعته تحدث أنها خرجت من بلدها معها زوجها وابن لها ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء، قالت: وذلك في سنة شهباء[114] لم تبق شيئًا، فخرجت على أَتَانٍ[115] لي قمراء[116]، معنا شَارِفٌ[117] لنا، والله ما تَبِضُّ[118] بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معي من بكائه من الجوع، وما في ثديي ما يغنيه، وما في شَارِفِنا ما يَغْذُوهُ، ولكنا نرجو الغيث والفرج،

---

(109) رسالة بولس لكورنثوس (3/15/1).

(110) المصدر السابق (21/5).

(111) مُحَمَّد ρ وخلفاؤه، مرجع سابق، (ص87).

(112) ينظر: معجم ديانات وأساطير العالم، أ.د.إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ط)، (397/1).

(113) ينظر: المرجع السابق، (398/1).

(114) السنة الشهباء: أي سنة مجدبة. ينظر: تهذيب اللغة للأزهري، مرجع سابق، (56/6)، مادة: "شهب".

(115) الأتان: أنثى الحمار. ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مرجع سابق، (ص48)، مادة: "أتن".

(116) الأتان القمراء: البيضاء اللون. ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، مرجع سابق، (126/9)، مادة: "قمر".

(117) الشارف: الناقة كبيرة السن الهرمة. ينظر: لسان العرب لابن منظور، مرجع سابق، (498/23)، مادة: "شرف".

(118) تبضُّ: ترشح. ينظر: الصحاح للجوهري، مرجع سابق، (1066/3)، مادة: "بضض".

فخرجت على أتاني تلك فلقد أَذْمَت بالركب[119] حتى شق ذلك عليهم ضعفًا وعجفًا، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عُرِض عليها رسول الله ﷺ فَتَأْبَاه إذا قيل لها إنه يتيم؛ وذلك أنا إنما نرجو المعروف من أبي الصبي، فكنا نقول: يتيم ما عسى أن تصنع أمه وجده، فكنا نكرهه لذلك، فما بقيت امرأة قَدِمَتْ معي إلا أخذت رضيعًا غيري.

فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي: إني لأكره أن أرجع من بين صواحباتي ولم آخذ رضيعًا، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه، قال: لا عليك أن تفعلي فعسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، قالت: فذهبت إليه فأخذته، وما حملني على ذلك إلا أني لم أجد غيره.

قالت: فلما أخذته رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حِجْرِي أقبل عليه ثديَايَ بما شاء من لبن، فشرب حتى رَوِيَ، وشرب معه أخوه حتى رَوِيَ، ثم ناما، وما كان ينام قبل ذلك.

وقام زوجي إلى شَارِفنا تلك فنظر إليها فإذا إنّها لَحافِلٌ، فحلب منها حتى شرب وشربت حتى انتهينا رِيًّا وشبعا، فبتنا بخير ليلة.

قالت: يقول لي صاحبي حين أصبحت: أتعلمين والله يا حليمة لقد أخذت نَسَمَةً مباركة. قلت: والله إني لأرجو ذلك.

قالت: ثم خرجنا وركبت أَتَاني تلك وحملته عليها معي، فوالله لقطعت بنا الركبَ ما يَقْدُمُ عليها شيء من حُمُرِهِم، حتى إن صواحبي ليقلن لي: يا ابنة أبي ذؤيب ارْبِعِي[120] علينا. أليس هذه أَتَانُك التي كنت خرجت عليها؟ فأقول لهن: بلى والله إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها لشأنًا.

قالت: ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله أَجْدَبَ منها، فكانت غنمي تَرُوح علي حين قدمنا به معنا شِباعًا لُبَّنًا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسانٌ قطرةً ولا يجدها في ضَرْعٍ حتى إن كان الحاضرُ من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعًا ما تَبِضُّ بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعًا لُبَّنًا، فلم نزل نتعرف من الله زيادة الخير به حتى مضت سنتان، وفَصَلْتُه وكان يَشِبُّ شبابًا لا يُشبُّه

---

(119) أذمت بالركب: أي حبستهم لضعف سيرها. ينظر: لسان العرب، لابن منظور، مرجع سابق، (221/12)، مادة: (ذمم).

(120) اربعي: أي ارفقي وتمهلي. ينظر: الصحاح، للجوهري، مرجع سابق، (1212/3)، مادة: "ربع".

الغِلْمان، فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلامًا جَفْرًا[121]، فقدمنا به على أمه، ونحن أحرص شيء على مُكْثه فينا؛ لما كنا نرى من بركته، فكلمنا أمه وقلنا لها يا ظِئْر[122] لو تركت بُنَيَّ عندي حتى يَغْلَظ فإني أخشى عليه وبَاءَ مكة.

قالت: فلم نزل بها حتى رددناه معنا"[123].

أما حادثة شق صدره الشرف ﷺ في رويت مطولة في كثير من المصادر، ولم يرد فيها ذكر لما أورده المؤلف–تبعًا للمعتقدات الباطلة–.

فقد روى غير وأحد من أصحاب السير والتأريخ والحديث عن شداد بن أوس[124] τ قال بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ أقبل شيخ من بني عامر وهو مَدَرَّةُ[125] قومه وسيدهم، من شيخ كبير يتوكأ على عصا، فمثل بين يدي النبي ﷺ قائمًا ونسبه إلى جده، فقال: يا بن عبد المطلب إني أُنْبئت أنَّك تزعم أنَّك رسول الله إلى الناس، أرسلك بما أرسل به إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، ألا وإنَّك فُوَّهْتَ[126] بعظيم، وإنما كانت الأنبياء والخلفاءُ في بيتين من بني إسرائيل، وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والأوثان، فما لك وللنبوة، ولكن لكل قول حقيقةٌ فأنبئني بحقيقة قولك، وبدءِ شأنك.

قال: فأُعجب النبيُّ ﷺ بمسألته، ثم قال: ((يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ، إِنَّ لِهَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي تَسْأَلُنِي عَنْهُ نَبَأً وَمَجْلِسًا، فَاجْلِسِ))، فثنى رجليه ثم بَرَكَ كما يبرك البعير، فاستقبله النبي ﷺ بالحديث فقال: ((يَا أَخَا بَنِي عَامِرٍ، إِنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِي وَبَدْءَ شَأْنِي، أَنِّي دَعْوَةُ أَبِي ابراهيم، وبشرى أخي عيسى بن مَرْيَمَ وَإِنِّي كُنْتُ بِكْرَ أُمِّي، وَإِنَّهَا حَمَلَتْ بِي كَأَثْقَلِ مَا تَحْمِلُ، وَجَعَلَتْ تَشْتَكِي إِلَى

---

(121) الجفر: المتسع الجبين. ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، مرجع سابق، (391/7)، مادة: "جفر".

(122) الظئر: مرضعة الولد. ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، مرجع سابق، (282/14)، مادة: "ظأر".

(123) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، مرجع سابق، (162/1–164)، وتاريخ الطبري، مرجع سابق، (454/1–455)، والروض الأنف للسهيلي، مرجع سابق، (105/2–106).

(124) شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر الأنصاري، صاحبي جليل، ممن أوتي العلم والحلم، روى عنه جمع من التابعين، توفي سنة: (58هـ)، وقيل:(64هـ). ينظر: الاستيعاب لابن عبد البر، مرجع سابق، (694/2)، وأسد الغابة لابن الأثير، مرجع سابق، (613/2).

(125) المدره: السَّيِّد الشريف وزعيم الْقَوْم وخطيبهم الْمُتَكَلّم عَنْهُم والمحامي، المعجم الوسيط (1/ 282).

(126) المفوَّهٌ: أَي شديدُ الْكَلَام بسيطُ اللّسان، تهذيب اللغة (6/ 237)

صَوَاحِبِهَا ثِقَلَ مَا تَجِدُ.

ثُمَّ إِنَّ أُمِّي رَأَتْ فِي الْمَنَامِ أَنَّ الَّذِي فِي بَطْنِهَا نُورٌ، قَالَتْ: فَجَعَلْتُ أُتْبِعُ بَصَرِيَ النُّورَ، وَالنُّورُ يَسْبِقُ بَصَرِي، حَتَّى أَضَاءَتْ لِي مَشَارِقُ الأَرْضِ وَمَغَارِبُهَا.

ثُمَّ إِنَّهَا وَلَدَتْنِي فَنَشَأْتُ، فَلَمَّا أَنْ نَشَأْتُ بُعِّضَتْ إِلَيَّ أَوْثَانُ قُرَيْشٍ، وَبُغِّضَ إِلَيَّ الشِّعْرُ، وَكُنْتُ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ مُنْتَبِذٌ مِنْ أهلي في بطن واد مع أَتْرَابٍ لِي مِنَ الصِّبْيَانِ نَتَقَاذَفُ بَيْنَنَا بِالْجُلَّةِ[127]، إِذْ أَتَانَا رَهْطٌ ثَلاثَةٌ مَعَهُمْ طَسْتٌ مِنْ ذهب مَلِيءٌ ثَلْجًا، فَأَخَذُونِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي، فَخَرَجَ أَصْحَابِي هِرَابًا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى شَفِيرِ الْوَادِي، ثُمَّ أَقْبَلُوا عَلَى الرَّهْطِ فَقَالُوا: مَا أَرَبُكُمْ إِلَى هَذَا الْغُلامِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَّا، هَذَا ابْنُ سَيِّدِ قُرَيْشٍ، وَهُوَ مُسْتَرْضَعٌ فِينَا، مِنْ غُلامٍ يَتِيمٍ لَيْسَ لَهُ أَبٌ، فَمَاذَا يَرُدُّ عَلَيْكُمْ قَتْلُهُ، وَمَاذَا تُصِيبُونَ مِنْ ذَلِكَ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ لا بُدَّ قَاتِلِيهِ، فَاخْتَارُوا مِنَّا أَيَّنَا شِئْتُمْ، فَلْيَأْتِكُمْ مَكَانَهُ فَاقْتُلُوهُ، وَدَعُوا هَذَا الْغُلامَ فَإِنَّهُ يَتِيمٌ فَلَمَّا رَأَى الصِّبْيَانُ الْقَوْمَ لا يُحِيرُونَ إِلَيْهِمْ جَوَابًا، انْطَلَقُوا هِرَابًا مُسْرِعِينَ إِلَى الحي، يؤذنونهم ويستصرخونهم عَلَى الْقَوْمِ.

فَعَمَدَ أحدهُمْ فَأَضْجَعَنِي عَلَى الأَرْضِ إِضْجَاعًا لَطِيفًا، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فلم أَجِدْ لِذَلِكَ مَسًّا، ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي، ثُمَّ غَسَلَهَا بِذَلِكَ الثَّلْجِ، فَأَنْعَمَ غَسْلَهَا، ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا، ثُمَّ قَامَ الثَّانِي مِنْهُمْ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ، فَنَحَّاهُ عَنِّي، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي فَأَخْرَجَ قَلْبِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَصَدَعَهُ، ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ، فَرَمَى بِهَا، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يُمْنَةً مِنْهُ، كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، فَإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ يَحَارُ النَّاظِرُونَ دُونَهُ، فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي، فَامْتَلأَ نُورًا، وَذَلِكَ نُورُ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ فَوَجَدْتُ بَرَدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ فِي قَلْبِي دَهْرًا، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثُ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ عَنِّي، فَأَمَرَّ يَدَهُ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي، فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقُّ بِإِذْنِ اللهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَأَنْهَضَنِي مِنْ مَكَانِي إِنْهَاضًا لَطِيفًا))[128].

---

(127) وَالجُلَّةُ: بِالْفَتْحِ الْبَعْرَةُ، المغرب في ترتيب المعرب (ص: 87)

(128) ينظر: السيرة النبوية، لابن إسحاق، مرجع سابق، (ص28–29)، وتاريخ الطبري، مرجع سابق، (161/1)، و للبيهقي، مرجع سابق، (215/1).

ورواه الإمام مسلم مختصرًا في صحيحه، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ρ إلى السماوات، وفرض الصلوات، (147/1)، حديث: (162).

المطلب الثالث: آراء إيرفينج المتعلقة بعلاقة النبي ﷺ بالأديان

يجد المستشرقون من هذه المسألة مجالًا خِصْبًا للطعن في نبوة نبينا محمد ﷺ، ومن أكثر الشبهات التي ألقوها في هذا المجال مسألة تأثر النبي ﷺ بمعتقدات الأديان السابقة لا سيما الديانتين اليهودية والنصرانية، معتمدين في هذه الشبهة على التقائه ﷺ في رحلاته إلى الشام ببعض الرهبان؛ كبحيرا الراهب، وهو أحد الرهبان النسطوريين، أو صلة القرابة التي كانت تربط زوجه أم المؤمنين خديجة–رضي الله عنها–بورقة بن نوفل وكان أحد من اطلع على التوراة والإنجيل، وكان ينبذ عبادة الأوثان ويوحد الله I.

والمؤلف ينحو هذا المنحى، فيقول: "عاد محمد إلى مكة، وقد تأثَّر خياله بالقصص والروايات التي سمعها في الصحراء، وبأحاديث ذلك الراهب النسطوري"[129].

وعن تأثر النبي ﷺ بورقة بن نوفل يقول المؤلف: "يرجع له الفضل في ترجمة بعض أجزاء الكتب السماوية إلى اللغة العربية، ولا شك أنَّ محمدًا قد اطَّلع عليها واستفاد مما جاء فيها"[130].

ويقول في موضع آخر: "تعرض لتأثير الحكمة الإلهية في منزله منذ زواجه بخديجة، من قبل خالها ورقة، الرجل ذي التطلعات الفكرية والإيمان المرن الذي تنقل في الأديان حتى اعتنق المسيحية"[131].

وهذا هو الاتجاه السائد بين المستشرقين الطاعنين في رسالة الإسلام ونبيها ﷺ فزعموا أنَّ الوحي مقتبس من تعاليم اليهودية والنصرانية، وغالبها عن طريق ورقة بن نوفل، وبَحِيرا، وأنَّه ﷺ اقتدى بتلك التعاليم، وكيَّفها تكيُّفًا بارعًا وَفْقًا لمتطلبَّات شعبه؛ ومن شواهد أقولهم: قول: درمنغم[132]: "إنَّ محمدًا التقى بورقة بن نوفل وأخذ عنه أصول دينه"[133].

---

(129) حياة مُحَمَّد ρ، مرجع سابق، (ص103).

(130) المرجع السابق (112).

(131) المرجع السابق.

(132) إميل درمنغم، مستشرق وصحفي فرنسي، كان أمين مكتبة الجزائر، له اهتمامات واسعة بالدراسات الشرقية، من مصنفاته: حياة مُحَمَّد في عيون مستشرق، ومُحَمَّد السيرة والمسيرة، توفي سنة: (1892م). ينظر: معجم أسماء المستشرقين لمراد، (ص508).

(133) حياة مُحَمَّد في عيون مستشرق، إميل درمنغم، ترجمة: د.عادل زعيتر، مراجعة وتدقيق: معتز حسن أبو القاسم، الأهلية للنشر والتوزيع، عمَّان–الأردن، ط1، 2014م، (ص125–126).

ويؤكد بودلي أنَّ معظم أفكار النبي ﷺ من اليهودية والنصرانية نتيجة حواراته مع ورقة بن نوفل، وما سمعه في رحلاته؛ فيقول: "وكان معظم ما عرفه محمد عن التوراة والإنجيل نتيجة محاورات محمد وورقة، وما التقطته أذناه في رحلاته"[134].

ويؤكد هذا القول في موضع آخر زاعمًا أنَّه ﷺ شغل بالتفكير في كلام ورقة وبعض الرهبان؛ فيقول: "فقد جعل يفكر فيما قاله ورقة، ومال قاله الراهب النسطوري في بُصرى من عدة سنين، وما قاله حَبْر نجران، وما سمعه في مدن آسيا الصغرى البعيدة"[135].

وهذا القول لا يثبت أمام الحقائق؛ فالنبي ﷺ لم يطأ بقدميه الشريفتين نجران ولا أي من مدن آسيا الصغرى، وأبعد نقطة وصلها هي مدينة بُصرى في الشام.

أما جولدتسيهر فيبين العلاقة بين النبي ﷺ والرهبان النصارى وأحبار اليهود، زاعمًا أنهم أساتذته ﷺ فيقول: "صار رهبان المسيحيين، وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه وقد كانوا في الواقع أساتذة له"[136].

ويصرح في موضع آخر بأنَّ دعوة النبي ﷺ ليست سوى مزيجًا مختارًا استقاه من المعارف اليهودية والنصرانية، ونتيجة لاتصاله ﷺ بمعتنقي هاتين الديانتين؛ فيقول: "فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها، التي تأثر بها تأثرًا عميقًا...، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية كانت في رأيه كذلك ضرورية"[137].

يزعم بروكلمان أنَّ النبي ﷺ تأثر باليهود منذ مقدمه إلى المدينة مهاجرًا؛ فيقول: "وتأثرت اتجاهات النبي الدينية في الأيام الأُولى من مقامه في المدينة، بالصلة التي كانت بينه وبين

---

(134) الرسول: حياة محمد، لبودلي، مرجع سابق، (ص53).

(135) المرجع السابق (ص55).

(136) العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي، إجناس جولدتسيهر، ترجمة: محمد يوسف موسى، وعلي حسن عب القادر، وعبد العزيز عبد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، مكتبة المثنى، بغداد، طُبع بمطابع دار الكتاب العربي بمصر، (د.ط)، (د.ت)، (ص13–14).

(137) العقيدة والشريعة في الإسلام، جولدتسيهر، لمرجع سابق (ص13).

اليهود"[138].

أما رودي بارت فيؤكد أنَّ بعض العناصر الرئيسة من اليهودية والنصرانية وصلت إلى النبي ﷺ وأثرت فيه، زاعمًا أنَّ النبي ﷺ ضمَّنها في القرآن الكريم على أنَّها وحي إلاهي؛ فيقول: "إنَّ عناصر رئيسية من اليهودية والمسيحية وصلت إلى النبي وأثرت فيه...وكان النبي يتلوها على المكيين باعتبارها وحيًا يوحَى إليه"[139].

كما يزعم أنَّ النبي ﷺ عرف أنَّ كثيًرا من الأفكار اليهودية والنصرانية في حقبة حياته الأولى، نتيجة لقاءات مع اليهود والنصارى؛ ولذا وعَى ﷺ أنهَّ مكلَّف بالرسالة؛ فيقول: "وفي الأغلب الأعم فإن جزءًا كبيرًا من الأفكار ذات الأصول المسيحية والنصرانية كان النبي قد عرفها في حِقبة حياته الأولى، وانشغل بها، وكوَّن توجهات إزاءها، ويجوز لنا أنَّ نذهب إلى أنَّه نتيجة المقابلة النقدية لديه مع العقائد المسيحية واليهودية نمى لديه الوعي بأنَّه مُكلَّف من الله برسالة خاصة يؤديها لبني قومه"[140].

ومما سبق يمكن الخلوص إلى نتيجة واضحة بأنَّ المؤلف لم يخرج في رأيه بمصادر الدين الإسلامي عن خط المستشرقين، وأنَّه يتفق معهم اتفاقًا كليًّا.

فأين دعوة المسيحية التي تدعوا الى التثليث من عقيدة المسلمين التوحيدية، واين جملة التعاليم اليهودية والمسيحية من تعاليم الإسلام، حتى نقول ان النبي ﷺ قد تأثر بها، وهل هذا التأثر ينحى بالنبي ﷺ ان يؤلف عقيدة جديدة بناء على تعاليمه الأولية من تلك الديانات حتى يكتب قرآن يتحدى به العرب في لفظه واعجزاه، وإقرار تشاريع تبقا الى يومنا هذا دون تبديل ولا تغيير ولا زيادة ولا نقصان، ثم إن بحيرا الراهب حينما مات من أين تعلم النبي ﷺ بعده العلوم، أم أن الطفل الذي قابل بحيرا وهو ابن تسع سنين سوف يحفظ جميع التعاليم المسيحية في جلسة واحدة، وما ثبت من مقابلة بحيرا للنبي ﷺ انما هو تبشير بانبعاث رسولاً فيما بعد، فكيف

---

(138) تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، نقلها إلى العربية: نبيه امين فارس، ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 2001م، (ص46/47).

(139) مُحَمَّد والقرآن: دعوة النبي العربي، رودي بارت، ترجمة: د.رضوان السيد، شرق غرب للنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 009م، (ص65).

(140) المرجع السابق.

يستدلون بتبشير بحيرا بانبعاث رسول اخر الزمان ثم يتهمونه بأخذ تعاليمه من المسيحة عن طريق الراهب بحيرا وفي هذا قمة التناقض بين الاتهام وبين اثباتهم لنبوة النبي ﷺ.

الخاتمة:

الحمد لله حمدا طيباً مباركاً ، والشكر لله أن يسر لي هذه الدراسة شكرا يليق بعظمته وجلال سلطانة ، واسأل الله تعالى أن يجعلها مباركة .

وأهم ما توصلت له هذه الدراسة:

1-تنوع أساليب أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم في التشكيك بالشريعة الإسلامية لاسيما مصدرها الثاني السنة النبوية .

2-وقوف الكثير من المسلمين على مر التاريخ للتصدي لمزاعم المستشرقين وغيرهم من المشككين .

3-لابد عند مخاطبة المشككين اللإستناد على الحقائق التاريخية والمراجع الأصيلة .

4-المستشرقين مهما حاولوا تصنع المصداقية والانصاف والموضوعية الا انه لا يستطيعون أن يتخلصوا من العقد الاستشراقية والتي تتمثل في العداء للإسلام والمسلمين .

5-تشابه منهج المستشرقين وتركيزهم على إثارة نفس الشبهات غالبا .

التوصيات:

1-الحاجة الى ترجمة الكتب المشهورة خاصة عند الغرب مما تحتوي على تزوير للإسلام .

2-الحاجة الى قاعدة بيانات لجهود الباحثين المسلمين بشتى اللغات لإمكانية نشرها بعد التوثيق العلمي والدفاع عن الإسلام .

المراجع

القرآن الكريم.

الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عبد الرحمن بن مُحَمَّد العليمي، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمَّان، (د.ط)، (د.ت).

أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، علي بن الحسين المسعودي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط)، (1416هـ–1996م.

أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، مُحَمَّد بن إسحاق الفاكهي، تحقيق: د.عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، بيروت، ط3، 1414هـ.

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مُحَمَّد بن عبد الله الأزرقي، دراسة وتحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، (د.ت).

أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، مُحَمَّد بن إسحاق الفاكهي، تحقيق: د.عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر، بيروت، ط3، 1414هـ الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري.

وأسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن مُحَمَّد بن الأثير الجزري، تحقيق: علي بن مُحَمَّد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، (د.ط)، 1415هـ–1994م.

أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1417هـ–1996م.

الإنباه على قبائل الرواة، يوسف بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد البر، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، ط1، 1405هـ–1985م.

بحار الأنوار الجامع لأخبار الأئمة الأطهار، مُحَمَّد باقر المجلسي، مؤسسة إحياء، الكتب الإسلامية، قم– الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ط1، 1388هـ–1968م.

البحر المحيط في التفسير، أبو حيان مُحَمَّد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي مُحَمَّد جميل، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1420هـ.

البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1418هـ–1997م.

البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، (د.ط)، (د.ت).

بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، السيد محمود شكري الألوسي، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه: مُحَمَّد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، (د.ت).

تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، مُحَمَّد بن أحمد بن الضياء، تحقيق: علاء إبراهيم، وأيمن نصر، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط2، 1424هـ–2004م.

تاريخ الرسل والملوك والأمم=تاريخ الطبري، مُحَمَّد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط2، 1387هـ.

تاريخ دمشق الكبير، علي بن الحسين بن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1415هـ–1995م.

تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، نقلها إلى العربية: نبيه امين فارس، ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 2001م.

تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ–1998م، (432/1)، ومفاتيح الغيب=تفسير الرازي، مُحَمَّد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ–2000م.

تفسير الطبري الكتاب: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠هـ)، توزيع: دار التربية والتراث - مكة المكرمة - ص.ب: ٧٧٨٠

تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى، ومُحَمَّد بن عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط1، 1387هـ.

التيجان في ملوك حمير، عبد الملك بن هشام المعافري، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث التاريخية، مركز الدراسات والأبحاث التاريخية اليمنية، صنعاء، الجمهورية العربية اليمنية، ط1، 1347هـ.

تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مُحَمَّد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط1، 1409هـ.

تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، مُحَمَّد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ط1، 1407هـ–1987م.

تهذيب اللغة للأزهري مادة: (عيف)، تحقيق: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط 1 ، ٢٠٠١م.

الثقات، مُحَمَّد بن حبان البستي، بإشراف: د.عبد المعيد خان، دائر المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط1، 1393هـ–1973م.

جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م–1403هـ.

حياة مُحَمَّد، ر. ف. بودلي، ترجمة: مُحَمَّد مُحَمَّد فرج، وعبد الحميد جوده السحار، مكتبة مصر، شارع كامل صدقي، الفجالة، (د.ط).

حياة مُحَمَّد ﷺ ورسالته، مُحَمَّد على اللاهوري، ترجمة: مُحَمَّد يعقوب خان، ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1390هـ.

حياة مُحَمَّد في عيون مستشرق، إميل درمنغم، ترجمة: د.عادل زعيتر، مراجعة وتدقيق: معتز حسن أبو القاسم، الأهلية للنشر والتوزيع، عمَّان–الأردن، ط1، 2014م.

مُحَمَّد ﷺ في مكة، مونتجمري وات، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، وحسين عيسى، مراجعة: د.أحمد شلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، (2002م).

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، شرح وتحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418هـ–1997م.

دفاع عن مُحَمَّد ﷺ ضدالمنتقصين من قدره، د.عبد الرحمن بدوي، ترجمة:د.كمال جاد، الدار العالمية للكتب والنشر، (د.ط)، (د.ت).

ديوان جران العود النميري، شرح وتحقيق: كارين صادر، دار صادر بيروت، ط1، 1999م.

ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1، 1980م.

رجال الكشي، مُحَمَّد بن الحسن الطوسي، جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بقم، إيران، ط1، 1426هـ.

الروض الأُنُفُ في الشرح السيرة لابن هشام، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: عمر بن عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ط1، 1421هـ–2000م الروض المعطار في خبر الأقطار، مُحَمَّد بن عبد الله الحميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، مطابع دار السراج، بيروت، ط2، 1980م.

الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال، بيروت، ط1، (د.ت).

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك بن حسين العاصمي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي مُحَمَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ–1998م.

سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا–لبنان، (د.ط)، (د.ت).

سيرة ابن إسحاق، مُحَمَّد بن إسحاق بن يسار المطلبي، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1398هـ-1978م.

سير أعلام النبلاء، مُحَمَّد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ-1985م

السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، د.أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، بالمدينة النبوية، ط6، 1415هـ-1994م.

شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن العماد، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 1406هـ-1986م.

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، مُحَمَّد بن أحمد الفاسي، الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1421هـ-2000م.

صحيح البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط1.

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الأجزاء: ٢

صحيح ابن خزيمة، مُحَمَّد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: د.مُحَمَّد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب، تحقيق: عبد الله كنون، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ط2، 1393هـ-1973م.

علل الشرائع، مُحَمَّد بن علي بن بابويه المعروف بالصدوق، دار المرتضى، بيروت-لبنان، ط1، 1427هـ-2006م.

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، مُحَمَّد بن أحمد الفاسي، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

فتح الباب في الكنى والألقاب، مُحَمَّد بن إسحاق بن منده، تحقيق: نظر بن مُحَمَّد الفاريابي، مكتبة الكوثر، الرياض، ط1، 1417هـ-1966م.

الفصل في الملل والأهواء والنِّحل، علي بن مُحَمَّد بن حزم الأندلسي، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، (ط،ت).

قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1402هـ–1982م.

والقول المبين في سيرة المرسلين، مُحَمَّد الطيب النجار، دار الندوة الجديدة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

الكامل في التاريخ، علي بن مُحَمَّد بن الأثير الجزري، تحقيق: د.عمر بن عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، ط1، 1417هـ–1997م.

الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح الحادي والعشرون، آية: (9).

اللباب في تهذيب الأنساب، علي بن مُحَمَّد بن الأثير الجزري، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

لسان العرب، مُحَمَّد بن مكرم بن منظور، دار صادر/ بيروت–لبنان، ط3، 1414هـ.

لسان الميزان، مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: دائرة المعارف العثمانية بالهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات الإسلامية، بيروت–لبنان، ط1.

معالم التنزيل في تفسير القرآن=تفسير البغوي، الحسين بن مسعود البغوي، حققه وخرج أحاديثه: مُحَمَّد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ–1997م.

ومعجم أسماء المستشرقين، يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م .

معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر بن رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1414هـ–1994م.

المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، مُحَمَّد بن مُحَمَّد حسن شرَّاب، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1411هـ.

مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، يوسف بن قزأُوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الرسالة العالمية، دمشق–سوريا، ط1، 1434هـ–2013م.

مُحَمَّد والقرآن: دعوة النبي العربي، رودي بارت، ترجمة: د.رضوان السيد، شرق غرب للنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 009م.

مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ مُحَمَّد صالح بن عثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، دار الثريا، ط–الأخيرة،(1413هـ).

معجم ديانات وأساطير العالم، أ.د.إمام عبد الفتاح إمام، مكتبة مدبولي، القاهرة، (د.ط).

المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، (د.ط)، (د.ت).

المحبر، مُحَمَّد بن حبيب الهاشمي، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

المختصر الكبير في سيرة الرسول ، عبد العزيز بن مُحَمَّد بن جماعة الكناني، تحقيق: سامي مكي العاني، دار البشر، عمان، ط1، 1993هـ.

المختصر في أخبار البشر، إسماعيل بن علي المؤيد، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، (د.ت).

المسالك والممالك، عبيد الله بن عبد الله، بن خرداذبة، دار صادر أوفست ليدن، بيروت، ط1، 1988م.

المعارف، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1992م.

العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي، إجناس جولدتسيهر، ترجمة: مُحَمَّد يوسف موسى، وعلي حسن عب القادر، وعبد العزيز عبد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، مكتبة المثنى، بغداد، طُبع بمطابع دار الكتاب العربي بمصر، (د.ط)، (د.ت).

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د.جواد العلي، دار الساقي، بيروت، ط4، 1422هـ-2001م.

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، عبد الرحمن بن علي الجوزي، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1412هـ-1992م.

المنمق في أخبار قريش، مُحَمَّد بن حبيب الهاشمي، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1405هـ-1985م.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، بإشراف: د.مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الرياض، ط4، 1420هـ.

الملل والنحل، مُحَمَّد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، مُحَمَّد بن عفيف الباجوري المعروف بالشيخ الخضري، دار الفيحاء، دمشق، ط2، 1425هـ.

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1400هـ-1980م.

هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المؤلفين، إسماعيل بن مُحَمَّد أمين بن مير سليم البغدادي، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول، ط1، 1951م.

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن مُحَمَّد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت-لبنان، ط1، 1970م .